الأصول العقدية عند المرجئة وعلاقتها بالأخلاق (عرض ومناقشة)

إعداد الدكتور
عنتر سيف النصر
المدرس بقسم العقيدة والفلسفة
في كلية أصول الدين والدعوة بأسيوط – جامعة الأزهر

الأصول العقدية عند المرجئة وعلاقتها بالأخلاق (عرض ومناقشة)

عنتر سيف النصر

قسم العقيدة والفلسفة – في كلية أصول الدين والدعوة – جامعة الأزهر – بأسيوط – مصر

البريد الإلكتروني: ANtarAli1692.el@azhar.edu.eg

الملخص :

سنة الله تعالى في أرضه أن يختلف الناس في اتجاهاتهم ومعتقداتهم ولذلك يقول الله تعالى: (**وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ . إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ**...) وكان من أهم أثر الاختلاف وجود الفرق الإسلامية ومن بينهم فرقة المرجئة والتي كان ظهورها كرد فعل للخوارج والمعتزلة في شأن مرتكب الكبيرة، فالوضع السياسي وما حدث بين الصحابة رضوان الله عليهم كان سببا رئيسا لظهور القول بالإرجاء ثم تتطور حتى أصبح فرقة عقدية لها أصولها ومعتقداتها والتي هي محل دراستنا، وكان لهذه الأصول العقدية أثرها على الفرد والمجتمع من الناحية العقدية والأخلاقية، ولذلك أردت بعد توفيق الله تعالى لى أن أساهم في دراسة هذه الفرقة مبرزا جانبا هاما من خلال دراسة أصولها العقدية ألا وهو الجانب الأخلاقي ولذلك أسميت البحث بعنوان : (**الأصول العقدية عند المرجئة وعلاقتها بالأخلاق**) **عرض ومناقشة** – ومنهجي في البحث.، وهو المنهج التاريخي و التحليلي و المنهج النقدي: والحالة السياسية وأثرها في ظهور الفرق الإسلامية ، والتعريف بالمرجئة ونشأتهم – و رأيهم في حقيقة الإيمان وعلاقته بالأخلاق ومناقشتهم – ومعتقدهم في مرتكب الكبيرة وعلاقته بالأخلاق ومناقشتهم، وموقفهم من الشفاعة وعلاقتها بالأخلاق ومناقشتهم.

الكلمات المفتاحية : الأصول العقدية – الأخلاق – الشفاعة – حقيقة الإيمان – الفرق الإسلامية.

Nodal Origins When Deferred And Their Relationship With Ethics (Presentation And Discussion)

Antar Saif Al-Nasr

Department of Belief and Philosophy - Faculty of Fundamentals of Religion and Propagation - Al-Azhar University - Assiut - Egypt

Email: **ANtarAli1692.el@azhar.edu.eg**

Abstract:

The law of God Almighty is on His land that people differ in their attitudes and beliefs and that is why God Almighty says: (And if your Lord willed to make people one nation and still be different, among those who differed from the one who was different ... Its emergence as a reaction to the Kharijites and the Mu'tazila in the matter of the perpetrator of the big one. The political situation and what happened between the companions, may God be pleased with them, was a major reason for the emergence of the saying of delay, then it developed until it became a contractual group that has its origins and beliefs which are the subject of our study, and these contractual origins had an impact on the individual and pain Society of the ideological and moral, so I wanted after reconciling God Almighty me to contribute to this study of the band, highlighting an important aspect through the study of their assets Streptococcus not It is

the ethical side, and therefore I called the research entitled: (Nodal Origins at the Deferred and Their Relationship with Ethics). Presentation and discussion - and in the reasons for choosing the subject - and my method in the research. - And their opinion on the truth of faith and its relationship to ethics and their discussion - and their belief in the perpetrator of the great and his relationship to ethics and their discussion, and their position on intercession and its relationship to ethics and their discussion.

Keywords: Doctrinal origins - Ethics - Intercession - The truth of faith - Islamic difference.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد

فإن الانشغال بالعلم من أفضل القربات التي يتقرب بها العبد إلى ربه، وخاصة إذا كان هذا العلم يمس الجانب العقدي ،و له أثره على حياة الفرد والمجتمع، ومن الجوانب العلمية التي لها أثر في هذا مجال دراسة الفرق الإسلامية فسنة الله تعالى في أرضه أن يختلف الناس في اتجاهاتهم ومعتقداتهم ولذلك يقول الله تعالى: (**وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ . إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ...**)[1]

والنبيﷺ، تنبأ بأنَّ الأمة ستفترق إلي ثلاث وسبعين فرقة، فرقة ناجية، والباقون في النار، ومنه ما رواه الترمذي بسنده عن النبيﷺ أنه قال "ليأتين على أمتي ما أتي على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل، حتى إن كان منهم من أتي أمه علانية ،لكان في أمتي من يصنع ذلك، وإن بني إسرائيل تفرقت علي ثنتين وسبعين ملة ،وتفترق أمتي علي ثلاث وسبعين ملة ،كلهم في النار إلا ملة واحدة قالوا: ومن هي يا رسول الله ﷺ قال ما أنا عليه وأصحابي" (حسن صحيح)[2].

وكان لوجود هذا العدد الكثير من الفرق ،الأسباب التي أدت إلى ظهوره ومن بين الفرق التي ظهرت في الإسلام، فرقة المرجئة والتي

---

١ – سورة هود الآية رقم (١١٨ وجزء من الآية (١١٩).

٢ – صحيح سنن الترمذي، كتاب الإيمان– باب ما جاء في افتراق الأمة (حديث رقم/٢٦٤١) (صـ٥٤)، مكتبة دار المعارف– الرياض، الطبعة الأولي٢٠٠٠م، ينظر الفوائد المجموعة للإمام محمد بن علي بن محمد الشوكاني (١/ ٥٠٢) ط. المكتب الإسلامي– بيروت ١٤٠٧هـ.

كان ظهورها كرد فعل للخوارج والمعتزلة في شأن مرتكب الكبيرة، فالوضع السياسي وما حدث بين الصحابة رضوان الله عليهم كان سببا رئيسا لظهور القول بالإرجاء ثم تتطور حتى أصبح فرقة عقدية لها أصولها ومعتقداتها والتي هي محل دراستنا، وكان لهذه الأصول العقدية أثرها على الفرد والمجتمع من الناحية العقدية والأخلاقية، ولذلك أردت بعد توفيق الله تعالى لى أن أساهم في دراسة هذه الفرقة مبرزا جانبا هاما من خلال دراسة أصولها العقدية ألا وهو الجانب الأخلاقي ولذلك أسميت البحث بعنوان

(الأصول العقدية عند المرجئة وعلاقتها بالأخلاق)
عرض ومناقشة

وقسمت البحث إلي:
مقدمة وتمهيد وأربعة مباحث وخاتمة
المقدمة : ذكرت فيها أسباب اختياري الموضوع – ومنهجي في البحث.

أسباب اختيار الموضوع :-
الأسباب التي أدت بي إلى الكتابة في هذا البحث كثيرة من أهمها:-
١- الرغبة في دراسة هذه الفرقة مع بيان تفصيل القول في الإرجاء وإبراز ما هو صحيح من غيره.
٢-عرض الأصول العقدية عن المرجئة وبيان أثرها على الأخلاق .
٣-الدفاع عن العقيدة الإسلامية الصحيحة الخالية من الغلو والانحرافات الفكرية المتطرفة.
إلى غير ذلك من الأسباب التي دعتني إلى الكتابة في هذا البحث.

منهجي في البحث
استخدمت في هذا البحث المناهج الأتية:-
- **المنهج التاريخي**: حيث تتبعت الأحداث التاريخية بإيجاز لمعرفة كيف نشأة فرقة المرجئة .

- **المنهج التحليلي** : حيث أقوم بعرض أصول المرجئة العقدية وأثرها على الأخلاق مع التحليل والتبسيط ليكون أدعى للمعرفة والفهم بيسر وسهولة دون تعقيد.
- **المنهج النقدي**: حيث أقوم بنقد الأصول العقدية التى اعتمدت عليها المرجئة في منهجهم والتي أثرت على الجانب الأخلاقي تأثيرا سلبيا مع بيان الوجهة الصحيحة في هذا.

أما التمهيد : الحالة السياسية وأثرها في ظهور الفرق الإسلامية

وأما المباحث:-

المبحث الأول: التعريف بالمرجئة ونشأتهم

المبحث الثاني: رأيهم في حقيقة الإيمان وعلاقته بالأخلاق **ومناقشتهم**

المبحث الثالث: معتقدهم في مرتكب الكبيرة وعلاقته بالأخلاق **ومناقشتهم**

المبحث الرابع : **موقفهم من الشفاعة وعلاقتها بالأخلاق ومناقشتهم.**

الخاتمة: وتشتمل على أهم النتائج والمراجع وفهرس الموضوعات.

فالله أسال أن يتقبل مني هذا العمل، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وأن يغفر لي ما فيه من زلل، ولا أدعي لنفسي الكمال، فالكمال لله وحده، ولكن حسبي أنني بشر أخطئ وأصيب، فإن كنت أصبت فلله الحمد والمنّة، وإن كانت الأخرى فذلك هو جهد المقل، وطاقة الناشئ، والله أسأل أن ينفعني به في دنيايا وآخرتي إنه على كل شيء قدير ﴿ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾[1].

١ – سورة هود من الآية رقم (٨٨).

التمهيد

الحالة السياسية وأثرها في ظهور الفرق الإسلامية

عاش المسلمون في الصدر الأول في ظل حياة النبي – صلى الله عليه وسلم – في جوٍ ملئ بالاستقرار العقدي والسياسي، ثم انتقل النبي - صلى الله عليه وسلم- إلى الرفيق الأعلى ويتولى سيدنا أبو بكر الصديق خلافة المسلمين مع حدوث بوادر يسيرة للخلاف تمثلت في أحداث سقيفة بني ساعدة[1] ، ولكن سرعان ما استقر الخلاف واستتب الأمن وهدأت الأوضاع،وفي هذا يقول الإمام الأشعري:

(وأول ما حدث من الاختلاف بين المسلمين بعد نبيهم صلى الله عليه وسلم اختلافهم في الإمامة وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قبضه الله عز وجل ونقله إلى جنته ودار كرامته اجتمعت الأنصار في سقيفة بني ساعدة بمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم وأرادوا عقد الإمامة لسعد بن عبادة وبلغ ذلك أبا بكر وعمر رضوان الله عليهما فقصدا نحو مجتمع الأنصار في رجال من المهاجرين فأعلمهم أبو بكر أن الإمامة لا تكون إلا في قريش واحتج عليهم بقول النبي صلى الله عليه وسلم: الإمامة في قريش فأذعنوا لذلك منقادين، ورجعوا إلى الحق طائعين، بعد أن قالت الأنصار: منا أمير ومنكم أمير وبعد أن جرب الحباب بن المنذر سيفه)[2]

ولكن أعداء الإسلام يتربصون بهذا الدين الحق، ويضمرون له الكيد منذ بزوغ فجره فهم يدبرون الكيد له، والانتقام منه، ولكن لم يستطيعوا أن ينالوا منه

---

١ – ظلة كانوا يجلسون تحتها في المدينة، وبنو ساعده حي من الأنصار، وهي بجوار بئر بضاعة في الشمال الغربي من المسجد النبوي. ينظر معجم البلدان لشهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي البغدادي (٢٨/٣) ط. دار الفكر– بيروت، بدون تاريخ.

٢ – مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين/ لأبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري / عنى بتصحيحه: هلموت ريتر (صـ٢) / الناشر: دار فرانز شتايز، بمدينة فيسبادن (ألمانيا) الطبعة: الثالثة، ١٤٠٠ هـ – ١٩٨٠ م

شيئًا في بدايته، ولكن وجدوا الفرصة مهيأة لهم في النصف الثاني من خلافة عثمانﷺ؛ حيث حدثت الفتنة التي قام بها عبد الله بن سبأ تحت شعار أن علياً بن أبي طالبﷺ هو الأحق بالخلافة، بعد رسول اللهﷺ وأن الإمامة منصب إلهي، وليس للبشر حاجة فيه، واستمر هؤلاء ينادون بتلك الدعوى، مما أدى بهم إلي قتل عثمانﷺ، واتسعت فجوة الانشقاق بين المسلمين، ولإنقاذ الصف الإسلامي من معرض هذه الفتنة ، قام بعض الصحابة بالتوجه إلى علي بن أبي طالبﷺ وترشيحه خليفة للمسلمين، وبعد مفاوضات استمرت بينهم وجد علي بن أبي طالب أن الواجب يحتم عليه قبول الخلافة، وعندما تولى خلافة المسلمين، طلب منه معاويةﷺ ومن معهﷺ القصاص من قتلة عثمانﷺ، فطلب عليﷺ منهم تأجيل هذا القصاص؛ نظراً لما تمر به الدولة الإسلامية، من ظروف صعبة للغاية، ولكن معاويةﷺ ومن معه رفضوا التأجيل؛ مطالبين بالإسراع في أخذ القصاص، مما هيأ الفرصة لأعداء الإسلام، أن ينطووا داخل صفوف المسلمين؛ ناشدين اتساع الفجوة بين المسلمين، مما أدى بهم إلى تدبير مؤامرة خبيثة، أسفرت عن حدوث انشقاق عظيم بين الصحابة ﷺ ترتب عليه ما عرف بمعركة الجمل (سنة ٣٥ هـ)، ثم كان على إثرها معركة صفين (سنة ٣٧هـ[١]) وفيها تحققت أمالهم؛ وذلك عندما كاد النصر يكون لعليﷺ، فإذ بمعاويةﷺ يأمر أتباعه برفع المصاحف على أسنة الرماح والسيوف، فقال عليﷺ لأصحابه إنها خدعة، ولكن أصحابه أرادوا منه قبول ذلك فوافق؛ دفعا لإراقة الدماء.

وحدث أن خرجت فرقة من جيش علي ﷺ معترضة على التحكيم، سميت بالخوارج، وعلى النقيض استمرت فرقة أخرى تسير خلف الإمام علي فسميت بالشيعة.

فكان هذا الحدث من الأسباب الرئيسة لظهور الفرق الإسلامية (وقد كانت موافقة عليٌ ﷺ على التحكيم الباعث الأول لظهور الفرق الدينية في الإسلام، فقد كان في معسكر الخليفة بعض المسلمين المتعصبين الذين رأوا أن

١- مكان علي شاطئ الفرات من الجانب الغربي بين الرقة وبالس في أخر حدود العراق وأول حدود الشام (ينظر: معجم البلدان ٣/٤١٤).

الفصل في موضوع خلافة النبي ﷺ لا يصح أن يوكل إلى بشر بل ينبغي الاحتكام فيه إلى الحرب والكفاح وسفك الدماء)[1]

وكان من أولى الفرق الإسلامية التي ظهرت نتيجة هذا الحدث فرقتي الخوارج والشيعة، الخوارج هي التي خرجت على الإمام علي ﷺ وقالت لا حكم إلا لله ،هذا بالإضافة إلى قولهم بان خليفة المسلمين لابد أن يكون شخص يراقب الله تعالى في السر والعلن منزه عن المعاصي ، فإذا ارتكب كبيرة من الكبائر صح للرعية خلعه وتولية غيره من أهل الخشية لله تعالى لأن بارتكابه للكبيرة أصبح كافرا.وما جعل الله تعالى للكافرين على المؤمنين سبيلا.

(...فأبوا إلا خلعه وإكفاره بالتحكيم وخرجوا عليه فسموا خوارج لأنهم خرجوا على علي بن أبي طالب رضوان الله عليه)[2]

بينما كان للشيعة رأي مغاير وهو حصر الخلافة في أولاد الإمام علي ﷺ وإذا تولى خلافة المسلمين أحد غيرهم ، يعتبر مغتصبا للخلافة وبهذا قابل الشيعة حكم الأمويين بالرفض وعدم الدخول تحت لولاء الخلافة.

في ظل هذه الأحداث ظهرت فرقة سعت في استقرار الوضع السياسي من جانب وإرجاء الحكم على مرتكب الكبيرة إلى الله تعالى من جانب أخر وهذه الفرقة أطلق عليها أسم المرجئة فهم الذين (استسلموا للأمر الواقع، وقبلوا الحكم الأموي، وهيئوا الجو الفكري لقبول الحكم – الحكم الأموي- وإشاعة الاستقرار)[3]

فإذن أقول:
أن الحالة السياسية وأقصد بها هنا، قضية الخلافة كانت سببا رئيسا، لظهور البذور الأولى للفرق الإسلامية، التي تزايدت فيما بعد، حتى وصلت إلى ثنتين وسبعين أو ثلاث وسبعين فرقة، ولتحليل نشأة المرجئة بشيء من التفصيل يتبين في الصفحات التالية.

---

١ – الخوارج والمرجئة / د محمد إبراهيم الفيومي (صـ١٣٢) طـ دار الفكر العربي – مدينة نصر – القاهرة ٢٠٠٣م.
٢ – مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين للأشعري (صـ٥/٤)
٣ – الخوارج والمرجئة / د محمد إبراهيم الفيومي (صـ١٣٣)

المبحث الأول

التعريف بالمرجئة ونشأتهم

التعريف بالإرجاء في اللغة:

معرفة دلالة الألفاظ من أهم المعارف؛ لأن اللفظ لا يفهم إلا إذا عرف معناه وبناء على هذا فإن لفظ الإرجاء في اللغة يدور حول معنين :-

١- التأخير والإرسال ٢- الرجاء والأمل

١- التأخير والإرسال :**ومنه أرجأ الأمر : أخره، وترك الهمزة لغة، وأرجأت الأمر وأرجيته إذا أخرته .**

والإرجاء: التأخير مهموز، ومنه سميت المُرجئة .

يقال: رجل مرجيء والنسبة إليه مرجئي هذا إذا همزت، فإن لم تهمز قلت رجل مُرج وهم المُرجئة بالتشديد وقيل من لم يهمز فالنسبة إليه مرجيء.

فنقول ر **جل مرجئي ومرجي في النسب إلى المرجئة والمرجية.**

قال ابن الأثير: ورد في الحديث ذكر المرجئة، وهم فرقة من فرق الإسلام يعتقدون أنه لا يضر مع الإيمان معصية، كما أنه لا ينفع مع الكفر طاعة. سموا مرجئة ؛لأن الله أرجأ تعذيبهم على المعاصي أي أخره عنهم)[1]

وسموا بذلك أيضا؛ لأنهم زعموا أن الإيمان قول وأرجؤا العمل[2]

---

١ - لسان العرب / لمحمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور/ (جـ١/ صـ ٨٤) / طبعة : دار صادر – بيروت/ (جـ١/ صـ ٨٤) /١٤١٤ هـ - وينظر كتاب التعريفات/ لعلي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني - تحقيق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر/ طبعة دار الكتب العلمية بيروت –لبنان (صـ ٢٠٨) / ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م

٢ - غريب الحديث/ أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري /تحقيق: د. عبد الله الجبوري / طبعة : مطبعة العاني – بغداد (جـ١/ صـ ٢٥٤). ١٣٩٧هـ

- الرجاء والأمل : **ومنه تقول رجا الشيء أمَّله فهو راج والشيء مرجوٌ، ومرجوة قال تعالى " فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا"**[1]

المرجئة في الاصطلاح

اتفق العلماء على أن المرجئة فرقة من الفرق الإسلامية لها كيانها ومعتقداتها وتعريف الشيء يكون بذكر أحد أوصافه المشهورة التي يعرف بها وبناء على هذا :

فالمرجئة: هم الذين يَقُولُونَ : الإِيمَانُ قَوْلٌ بِلاَ فِعْلٍ ، وَهَذَا بِدْعَةٌ[2]

فهي طائفة من أهل الكلام. والإرجاء على معنيين:

أحدهما: بمعنى التأخير؛ لأنهم يؤخرون الأعمال عن الإيمان.

والثاني: إعطاء الرَّجاء، فهم يقولون: لا يضر مع الإيمان معصية، كما لا ينفع مع الكفر طاعة.

وفي هذا يقول الإمام الشهرستاني (الإرجاء على معنيين: أحدهما بمعنى التأخير كما فى قوله تعالى: " **قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ** "[3] أى أمهله وأخره والثانى: إعطاء الرجاء... أما إطلاق اسم المرجئة على الجماعة بالمعنى الأول فصحيح، لأنهم كانوا يؤخرون العمل عن النية والعقد. وأما بالمعنى الثانى فظاهر، فإنهم كانوا يقولون: لا تضر مع الإيمان معصية كما لا تنفع مع الكفر طاعة، وقيل: الإرجاء تأخير حكم صاحب الكبيرة إلى يوم القيامة، فلا يقضى عليه بحكم ما فى الدنيا من كونه من أهل الجنة أو من أهل النار(١)، إلى أن قال: وقيل: الإرجاء تأخير على رضى الله عنه عن الدرجة الأولى إلى الرابعة) [4]

---

١ – سورة الكهف جزء من الآية رقم (١١٠) .

٢ – خلق أفعال العباد والرد على الجهمية وأصحاب التعطيل / لمحمد بن إسماعيل البخاري تحقيق : فهد بن سليمان الفهيد (جـ٢ / صـ ٣٠) / طـ: دار أطلس الخضراء / الطبعة : الأولى ، ٢٠٠٥ هـ

٣ – سوره الشعراء جزء من الآية رقم (٣٦).

٤ – الملل والنحل للشهرستاني / تحقيق أ.د علي عبد الباسط مزيد /صـ١٥٤/ طـ مكتبة الإيمان للنشر والتوزيع – القاهرة ٢٠١٤م / وينظر التسعينية / لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية =

وقد ذكر صاحب كتاب السنة بسنده أنه قال : أخبرني حرب بن إسماعيل الكرماني قال سمعت أحمد وقيل له المرجئة من هم؟

(قال: من زعم أن الإيمان قول)

ويقول الأمدي في تعريفه للمرجئة : (فإنهم يرون تأخير العمل عن النية، والعقد، ويقولون لا يضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفران طاعة. وبالنظر إلى هذين القولين سموا مرجئة)[1]

ويقول المرتضى " والمرجئة سميت بذلك؛ لتركهم القطع بوعيد الفسَّاق وذلك هو جماع مذهبهم، فمن قطع بسلامة الفاسق فليس بمرجيء ومنهم عدلية وجبرية)[2]

فمن خلال ما سبق يتبين أن أخص وصف للمرجئة أنهم يقرون بأن الإيمان هو اعتقاد بالقلب واقرار باللسان ،مع إهدار قيمة العمل، فلا تضر مع الإيمان معصية، ولا تنفع مع الكفر طاعة.

ثانيا: نشأة المرجئة وزمن ظهورهم

من المعلوم أن لكل جديد نشأة،وعوامل، تساعد على ظهوره ،ووجوده، وهذا ينطبق على كل ما هو موجود، ويقينا بهذا فإن نشأة المرجئة كان لظهورها ونشأتها ،عوامل كانت سببا في وجودها و تتلخص في :

=دراسة وتحقيق: الدكتور محمد بن إبراهيم العجلان / (جـ١ / صـ١٢٩) / طبعة مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض – المملكة العربية السعودية (جـ١ / صـ١٢٩) / ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩

وينظر – كتاب المواقف / لعضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي / تحقيق : د.عبدالرحمن عميرة / طبعة دار الجيل – بيروت / جـ٣ / صـ٧٠٧ / سنة ١٩٩٧م: دار الراية – الرياض الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ

١ – أبكار الأفكار في أصول الدين / لسيف الدين الآمدي /تحقيق: أ. د. أحمد محمد المهدي (جـ٥/ ٨٤-٨٥) / الناشر: دار الكتب والوثائق القومية – القاهرة – الطبعة: الثانية / ١٤٢٤ هـ -٢٠٠٤م

٢ – المنية والأمل في شرح الملل والنحل / لأحمد بن يحى المرتضى / تحقيق د / محمد جواد مشكور (صـ ١١٣) طـ مؤسسة الكتاب الثقافية – دمشق بدون.

- **المناخ السياسي** (ظاهرة الإرجاء وعلاقتها بالخلافة والإمامة).
- **المناخ العقدي** (ظاهرة الإرجاء وعلاقتها بالخوارج والشيعة والمعتزلة).

أولا : المناخ السياسي (ظاهرة الإرجاء وعلاقتها بالخلافة والإمامة).

ظهر القول بالإرجاء نتيجة الأحداث الدامية، التي تتعلق بشأن الخلافة، والأحقية بالإمامة. وذلك بعد مقتل سيدنا عثمان – رضى الله عنه– ومطالبة سيدنا معاوية – رضى الله عنه– ومن معه بأخذ الثأر لسيدنا عثمان – رضى الله عنه– وحدث خلاف ونزاع ترتب عليه أن بعض الصحابة اعتزل هذه الفتنة وأرجأ الأمر فيها إلى الله تعالى يقول الذهبي :–

(١– أن الحسن بن محمد بن الحنفية هو أول من ذكر الإرجاء فى المدينة بخصوص على وعثمان وطلحة والزبير،– رضى الله تعالى عنهم أجمعين– حينما خاض الناس فيهم وهو ساكت ثم قال: قد سمعت مقالتكم ،ولم أر شيئاً أمثل من أن يرجأ على وعثمان وطلحة والزبير، فلا يتولوا ولا يتبرأ منهم. ولكنه ندم بعد ذلك على هذا الكلام وتمنى أنه مات قبل أن يقوله.[١]

(٢– فصار كلامه بعد ذلك طريقاً لنشأة القول بالإرجاء، وقد بلغ أباه محمد بن الحنيفة كلام الحسن، فضربه بعصا فشجه، وقال: لا تتولى أباك علياً؟ ولم يلتفت الذين تبنوا القول بالإرجاء إلى ندم الحسن بعد ذلك، فإن كتابه عن الإرجاء انتشر بين الناس وصادف هوى فى نفوس كثيرة فاعتنقوه(٢).

ويقول أيضا الإمام أبو زهرة (والبذرة الأولى التي نبتت منها هذه الفرقة كانت في عصر الصحابة في أخر عصر عثمان (رضى الله عنه) ...عندما ظهرت الفتن التي انتهت بقتله، وفي أثناء ذلك اعتصمت طائفة من الصحابة بالصمت وتجملت بالامتناع عن الاشتراك في تلك الفتن) [٢]

ويتبين لنا أن إرجاء الحسن كان مخصوص بالأحداث السياسية ،ولم يكن مطلقا، ولا يخوض في العقائد فعلى الفرض من أنه لم يندم على مقولته ،لا يكون هذا سببا، فيما عليه المرجئة من أقوالهم وعقائدهم التي اعتمدوا عليها في منهجهم .

---

١ – ينظر تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام/ لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي / تحقيق: الدكتور بشار عوّاد معروف / (جـ٢/ صـ ١٠٨١) / طبعة دار الغرب الإسلامي ٢٠٠٣ م

٢ – تاريخ المذاهب الإسلامية /للشيخ محمد أبو زهرة (جـ١ / صـ ١٣٣).

والاتجاه الثاني هو الاتجاه العقدي ويتمثل : في فصلهم بين الإيمان والعمل، حيث ذهبت (**إلى أن الإيمان عقد بالقلب، وإن أعلن الكفر بلسانه بلا تقية وعبد الأوثان أو لزم اليهودية أو النصرانية في دار الإسلام وعبد الصليب وأعلن التثليث ومات على ذلك، فهو مؤمن كامل الإيمان عند اللَّه عَزَّ وَجَلَّ ووليٌّ لله عَزَّ وَجَلَّ، من أهل الجنة.**)[1]

فجاء هذا تفسير مناسبا للوضع السياسي الجاري حين ذاك و(لذلك كان تفسيرهم للإيمان حلاً لمعضلة سياسية ،وحقنا لدماء المسلمين، وليس تفسيرا دينيا، يُتَحرى الدقة العلمية شأن الفقهاء الذين يحررون المسائل العقدية، أو الفقهية تحريرا وافيا، إنما الأمور كانت تسير بين الفعل ورد الفعل، تحكمها العصبيات، والأهواء المعضلة ،برزت تحت وطأة أحوال تاريخية استثنائية رمت بالمجتمع في فلك التغيير)[2]

(والمرجئة فرقة وقفت موقفا حياديا من الخلاف الذي وقع فى عصر الصحابة– بعد مقتل عثمان رضى الله عنه– والخلاف الذي كان فى العصر الأموي، وأرجأت الحكم على الجميع الى الله سبحانه)[3]

ويقول الدكتور أحمد أمين (المرجئة تخدم السياسة ،ولو من طريق غير مباشر ،وأقل ما فيها أنها تجعل أصحابها محايدين ،لا ضد الدولة ولا معها)[4]

ولذلك يكاد يتفق الكثير من المؤرخين، على أن المرجئة ،نشأت كرد فعل لما أحدثته الخوارج من الحكم على تكفير مرتكب الكبيرة، ثم الشيعة أيضا الذين يكفرون بعض الصحابة مما كان له أكبر الأثر في إشعال الوضع السياسي عند الأمويين ؛لأن الفرقتين يكفران الأمويين لأنهم في نظرهم مغتصبون للخلافة.

---

١ – تفسير الماتريدي ((جـ١/ صـ ١١٩)

٢ – تاريخ الفرق الإسلامية السياسي والديني(المرجئة والخوارج) / الدكتور إبراهيم الفيومي (صـ ١٣٥) / طبعة دار الفكر العربي – القاهرة ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٣م.

٣ – تفسير مقاتل بن سليمان لأبي الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى / تحقيق: عبد الله محمود شحاته (جـ٥/ صـ١١٨)/ طبعة : دار إحياء التراث – بيروت ١٤٢٣ هـ

٤ ضحى الإسلام د أحمد أمين / (جـ٣/ صـ ٣٢٤) / طـ الهئية المصرية للكتاب ضمن مشروع مكتبة الأسرة مهرجان القراءة للجميع ١٩٩٩م.

فظهرت حينئذ فرقة المرجئة تسالم الاتجاهين الاتجاه العقدي وهو إرجاء الحكم على مرتكب الكبيرة إلى الله تعالى (**وكانت الغاية التي تهدف إليها –أصلًا– الامتناع عن التسرع في إصدار الأحكام على أعمال الصحابة والتابعين**) [1]

ويقول ابن تيمية :

(ثم ظهرت المرجئة كرد فعل للخوارج والشيعة، وأرجؤوا الحكم على مرتكب الكبيرة إلى يوم القيامة، وقالوا: لا يضر مع الإيمان ذنب، ولا ينفع مع الكفر طاعة) [2]

وتحقيق القول بأن المرجئة ظهرت كرد فعل للخوارج والشيعة يوضح لنا أن الامر يتعلق بالمنظور السياسي

وبعد بيان السبب العام لنشأة المرجئة يتبادر للذهن التساؤل عن أول من صدر منه هذا القول ولبيان ذلك يتضح في الأتي حيث اختلف العلماء في هذا إلى أقوال متعددة منها:

٣– إن أول من قال بالإرجاء على طريقة الغلو فيه هو رجل يسمى ذر بن عبد الله الهمدانى وهو تابعى، وقد ذمه علماء عصره من أهل السنة، بل كان بعضهم –مثل إبراهيم النخعى– لا يرد عليه إذا سلم، وكذلك سعيد بن جبير.

٤– ويذكر شيخ الإسلام عن نشأة الإرجاء بالكوفة أن أول من قاله فيهم حماد بن أبى سليمان(٣).

٥– وذكر الشهرستاني أن ممن قال بالإرجاء الحسن بن محمد بن علي بن أبي طالب **إلا إنه ما أخر العمل عن الإيمان كما قالت المرجئة اليونسية والعبيدية، لكنه حكم بأن صاحب الكبيرة لا يكفر، إذ الطاعات وترك المعاصى ليست من أصل الإيمان حتى يزول الإيمان بزوالها).**

٦– وذكر ابن تيمية أن القول بالإرجاء ظهر في أواخر عهد الصحابة رضوان الله عليهم (**ثم في آخر عصر الصحابة حدثت القدرية وتكلم فيهم من بقي من**

---

١ – تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)/ لمحمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي/ تحقيق: د. مجدي باسلوم (جـ١/ صـ ١٢١) / طبعة : دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان/ ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م

٢ – التسعينية لابن تيمية / (جـ١ / صـــ١٨)

الصحابة كابن عمر وابن عباس ووائلة بن الاسقع وغيرهم وحدثت أيضا بدعة المرجئة في الأيمان والآثار عن الصحابة ثابتة بمخالفتهم)[1]

(المرجئة هم الَّذين أرجوا أَمر عَليّ بن أبي طَالب وَمن خرج مَعَه)[2]

ومما سبق ظهر لنا أن المرجئة ظهرت في أواخر عهد الصحابة رضوان الله تعالى عليهم وهذا ما أرجحه لكثرة المصادر التي تدل على هذا.

ثم أود أن أوضح بأن الإرجاء وإن كان قد ظهر في أواخر عهد الصحابة وغلا فيه من غلا بعد ذلك فإن مدار البحث سوف يكون على مناقشة كل من قال بأن الإيمان اعتقاد بلا عمل ولا فائدة للعمل أصلا.

أما من قال بأن الإيمان اعتقاد بالقلب وإقرار باللسان فلا ينطبق عليه مقصود البحث وذلك كقول الإمام أبو حنيفة ومن تبعه، لأنه يقصد بأن الإيمان اعتقاد بالقلب وإقرار باللسان مع تأكيده على ضرورة العمل (**فأقرب فرق المرجئة إِلَى أهل السّنة من ذهب مَذْهَب أبي حنيفَة الْفَقِيه إِلَى أَن الْإِيمَان هُوَ التَّصْدِيق بِاللِّسَانِ وَالْقلب مَعًا وَأَن الْأَعْمَال إِنَّمَا هِيَ شرائع الْإِيمَان وفرائضه فَقَط**)[3] .

(وقال أبو يوسف: دعوا قول أصحاب الخصومات وأهل البدع في الأهواء من المرجئة والرافضة والزيدية والمشبهة والشيعة والخوارج والقدرية والمعتزلة والجهمية)[4]

ومن نافلة القول :

إذا كانت المرجئة قد نشأت كرد فعل للأحداث السياسية؛ لأن اختلاف فرقتين أو اتجاهين ينشأ عنهما لا محالة فرقة أو منهج ثالث، يلتزم الحياد فعندما ظهرتا

---

١ – النبوات / لابن تيمة (صـ ١٤٢) المطبعة السلفية – القاهرة، ١٣٨٦هـ.

٢ – التوحيد/ لأبي منصور الماتريدي / تحقيق: د. فتح الله خليف (صـ ٣٨٤) / طـ دار الجامعات المصرية – الإسكندرية بدون .

٣ – لفصل في الملل والأهواء والنحل / لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (جـ٢ / صـ ٨٨). / : مكتبة الخانجي – القاهرة بدون.

٤ – مجموع الفتاوى/ لإبن تيمية / تحقيق : عبد الرحمن بن محمد بن قاسم (جـ١٨/صـ١٩١) الطبعة : مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية ١٤١٦هـ/١٩٩٥م

الخوارج والشيعة عقب حادثة التحكيم ظهر القول بالإرجاء، ثم تطور الوضع من المنحى السياسي إلى موضوع عقدي وهو الحكم على مرتكب الكبيرة، فكلا الفرقتين كفرتا مرتكب الكبيرة فظهر القول بالإرجاء أي إرجاء الحكم فيه إلى الله[1] وفصلت بين الإيمان والعمل، وكل ذلك لتهدئة الوضع السياسي، وهذا يعتبر جانب إيجابي لظهورها، فهل كان هناك أثر سلبي لظورها أم لا؟

نعم كان لظهور القول بالإرجاء الذي يفصل بين الإيمان والعمل أثره السيء على الأخلاقيات الإسلامية حيث (**بالغوا في فصل الإيمان عن العمل، فأتوا بدعًا وضلالات**)[2]

لأن هذا القول يفتح أبواب الإباحية على مصرعيها ولذلك يقول الدكتور إبراهيم الفيومي (فإن رأي المرجئة أصبح من أهم العوامل التي أفسحت السبيل أمام الفرق الإباحية القديمة)[3]

وبناء على هذا فإني سأذكر فرق المرجئة الذين يخرجون العمل عن دائرة الإيمان بمعني أن العمل لا فائدة منه فلا تضر مع الإيمان معصية ،ولا تنفع مع الكفر طاعة.

فرق المرجئة

سبق القول أن حصر فرق المرجئة سوف يكون على أساس القائلين بخروج العمل عن دائرة الإيمان وفي هذا يقول الإمام الشهرستاني (والمرجئة أربعة أصناف : مرجئة الخوارج،مرجئة القدرية ، مرجئة الجبرية ، والمرجئة الخالصة ....ونحن إنما نعد مقالات المرجئة الخالصة بهم)[4]

١- اليونسية : أصحاب يونس بن عون النميري:زعم أن الإيمان هو المعرفة بالله والخضوع له وترك الاستكبار عليه والمحبة فمن اجتمعت فيه هذه الخصال فهو مؤمن وما سوى ذلك من الطاعات فليس من الإيمان ولا يضر تركها حقيقية الإيمان ولا يعذب على ذلك إذا كان الإيمان خالصا واليقين صادقا.

---

١ – ينظر ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي د / سفر بن عبد الرحمن الحوالي (صـ ٢٠٦).

٢ – تفسير الماتريدي ((جـ١/ صـ ١٢١)

٣ – تاريخ الفرق الإسلامية السياسي والديني الخوارج والمرجئة / د. إبراهيم الفيومي (صـ ١٣٥)

٤ – الملل والنحل للشهرستاني (صـ١٥٤).

٢- العبيدية : أصحاب عبيد المكتئب حكي عنه أنه قال: ما دون الشرك مغفور لا محالة، وإن العبد إذا مات على توحيده لا يضره ما اقترف من الآثام واجترح من السيئات .

٣- الغسَّانِيّة : أصحاب غسان الكوفي الذي زعم بأن الإيمان هو المعرفة بالله وبرسوله والإقرار بما جاء جملة لا تفصيلا.

٤-الثوبانية : أصحاب أبي ثوبان المجيء الذي أخر العمل كله عن الإيمان.

٥-التومنية : أصحاب أبي معاذ التومني : زعم أن الإيمان ما عصم من الكفر وكل معصية صغيرة أو كبيرة لم يجمع المسلمون على أنها كفر لم يسم فاعلها بالفسق وتبعه في مذهبه ابن الراوندي وبشر المريسي حيث قالا: بأن الإيمان هو التصديق بالقلب واللسان جميعا.

٦-الصالحية : أصحاب صالح بن عمر الصالحي الذي زعم بان الصلاة ليست عباده لله تعالى وأنه لا عباده له إلا الإيمان به، وهو معرفته وهو خصلة واحدة لا يزيد ولا ينقص .[١]

هذه هي أهم فرق المرجئة الخالصة ويتفقون جميعا على إخراج العمل عن دائرة الإيمان ويكتفون بان الإيمان هو التصديق أو هو المعرفة بالله وبرسوله - مع إهمال قيمة العمل - وكل من كان هذا مذهبه فهو من المرجئة الخالصة.وبعد أن بينت فرق المرجئة الخالصة أتناول بتوفيق الله تعالى أصولهم العقدية التي خالفوا فيها أهل السنة والتي كان لها أثرها السيء على الأخلاق ونشر الفوضى والإباحية وفي هذا يقول صاحب كتاب حلية الأولياء (**قَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ: " خَالَفَتْنَا الْمُرْجِئَةُ فِي ثَلَاثٍ: نَحْنُ نَقُولُ: الْإِيمَانُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ ، وَهُمْ يَقُولُونَ: الْإِيمَانُ قَوْلٌ بِلَا عَمَلٍ ، وَنَحْنُ نَقُولُ: يَزِيدُ**

---

١ - ينظرالملل والنحل للشهرستاني (صـ١٥٤) / وينظر اعتقادات فرق المسلمين والمشركين/ لمحمد بن عمر بن الحسين الرازي أبو عبد الله (صـ٧٠،٧١) / تحقيق : علي سامي النشار/طبعة: دار الكتب العلمية - بيروت ، ١٤٠٢/ وينظر كتاب المواقف/ لعضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي (جـ٣ / صـ٧٠٥،٧٠٦) / تحقيق : د.عبد الرحمن عميرة / : دار الجيل - بيروت ١٩٩٧م

وَيَنْقُصُ ، وَهُمْ يَقُولُونَ: لَا يَزِيدُ وَلَا يَنْقُصُ ، وَنَحْنُ نَقُولُ: نَحْنُ مُؤْمِنُونَ بِالْإِقْرَارِ ، وَهُمْ يَقُولُونَ: نَحْنُ مُؤْمِنُونَ عِنْدَ اللهِ)[1]

ومما يفهم من خلال الدراسة الموجزة لنشأة المرجئة تبين أن ليس لهم مصدرا واحدا ننقل منه أقوالهم ومعتقداتهم ،وما وصل إلينا عنهم فهو قليل منثور في ثنايا الكتب والمؤلفات،وهم يكادون يجمعون على المحاور الأتية :

١- عدم الخوض فيما جرى بين الصحابة رضي الله عنهم .
٢- تركهم القطع بوعيد الفساق من أهل القبلة فصاحب الكبيرة مؤمن عندهم.
٣- إهمال قيمة العمل بفصله عن الإيمان
٤- إنكارهم الشفاعة لان الكبائر لا تضر بالإيمان وحيئنذ لا فائدة في الشفاعة.

وهذه الأصول لها أثرها على الفرد، والمجتمع من حيث السلوك الأخلاقي من جانب، والتلاعب بالأوامر والنواهي الشرعية من جانب أخر، وهذا ما أُظهِرُه وأُعالِجُه في ثنايا البحث بإذن الله عزوجل.

١ – حلية الأولياء وطبقات الأصفياء/ لأبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني / جـ٧ / صـ ٢٩ / طبعة دار الكتب العلمية– بيروت ١٤٠٩ هـ

المبحث الثاني

رأيهم في حقيقة الإيمان وعلاقته بالأخلاق ومناقشتهم

يرى المرجئة أن الإيمان هو : التصديق فقط [١]
وقيل هو (**الإيمان في القلب واللسان، وهو المعرفة باللَّه تعالى، والمحبة والخضوع له بالقلب**)[٢]

فالمرجئة يتلخص الإيمان عندهم بأنه: قول ومعرفة بالقلب بلا عمل[٣]
(وهم في الإيمان صنفان: صنف يقول إن الإيمان تصديق بالقلب فقط، وصنف يقول: الإيمان قول باللسان وتصديق بالقلب، وغلا منهم مغالون فقالوا: هو الإقرار باللسان فقط.)[٤]

وكل هذه التعريفات تنتهي إلى أنه لا قيمة للعمل، ولا وجود له في الحصول على الإيمان.واحتجوا بأدلة كثيرة منها:-

من أدلة المرجئة

١ - تفسير الثوري/ لأبي عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري الكوفي / (جـ١/ صـ ١٦) طبعة : دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣ م

٢ - تفسير الماتريدي ((جـ١/ صـ ١٢١)

٣ - ينظر شرح صحيح البخارى لابن بطال/ لابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك / تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم (جـ١/ صـ٧٩) / الطبعة :مكتبة الرشد – السعودية، الرياض– الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م/ وينظر لمنتقى شرح الموطإ / لأبي الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث التجيبي القرطبي الباجي الأندلسي / (جـ ٧/ صـ ٢٠٧) / طبعة: مطبعة السعادة – بجوار محافظة مصر ١٣٣٢هـ

٤ - طالع الأنوار على صحاح الآثار /لإبراهيم بن يوسف بن أدهم الوهراني الحمزي، أبو إسحاق ابن قرقول / تحقيق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث (جـ٣/ صـ١١٩) / الطبعة: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – دولة قطر ١٤٣٣ هـ – ٢٠١٢م

مارواه مسلم بسنده عن عباده بن الصامت قال:(سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول: «من شهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، حرم الله عليه النار)[1]

وبناء على تعريفهم بأن الإيمان هو التصديق أو المعرفه أو الإقرار باللسان قالوا بأن الإيمان لا يزيد ولا ينقص حجة منهم بأن التصديق القلبي لا يقبل زيادة ولا نقصان خلافا للغسانية منهم قالوا بأن الإيمان يزيد ولا ينقص ويذكر البغدادي عن الغساني أنه (زعم أَن الإيمان هُوَ الْإِقْرَار أو الْمحبَّة لله تَعَالَى وتعظيمه وَترك الاستكبار عَلَيْهِ وَقَالَ انه يزِيد وَلَا ينقص)[2]

تبين أن المرجئة يزعمون أن الإيمان هو المعرفة والتصديق القلبي ،أو النطق باللسان مع عدم مراعاة الأعمال بالجوارح،وبناء على هذا قالوا بأن المؤمن لا تضره المعصية ولا الكافر تنفعه الطاعة مما كان لهذا المعتقد أثره السيء على الأخلاقيات الإسلامية ويتضح هذا فيما يلي :-

الأثر الأخلاقي المترتب على عقيدتهم في الإيمان.

قبل أن أبين الأثر الأخلاقي المترتب على عقيدة هؤلاء في الإيمان يجدر بي أن أبين ما المقصود بالأخلاق اولا

مفهوم الأخلاق

الخُلُق في اللغة: السجية، والطبع، والعادة، والمروءة ،والدين[3].

اصطلاحا : حال للنفس راسخة تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر ورؤية.[4]

---

١ – صحيح مسلم / كتاب الإيمان / جـ١/ صـ٣٨١/ حديث رقم (٥١)

٢ – الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية / لعبد القاهر البغدادي / (صـ ١٩١)/ طـ دار الآفاق الجديدة – بيروت ١٩٧٧م/ وينظر أبكار الأفكار في أصول الدين / لعلي بن محمد بن سالم الأمدي / تحقيق: أ. د. أحمد محمد المهدي (جـ ٥ / صـ ٨٦) /طـ: دار الكتب والوثائق القومية – القاهرة ١٤٢٤ هـ -٢٠٠٤م

٣- ينظر المصباح المنير في غريب الشرح الكبير / تأليف أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (جـ١/ صـ ١٨٠) طـ المكتبة العلمية – بيروت وينظر المعجم الفلسفي د . جميل صليبا (جـ١ / صـ ٥٣٩).

٤ – المعجم الفلسفي د . جميل صليبا (جـ١ / صـ ٥٣٩).

ثمرة الأخلاق

مما لا شك فيه ولا ريب أن علم الأخلاق له ثمرات وفوائد جمة من أهمها:

١- أن دراسة علم الأخلاق يجعل الإنسان على بصيرة في أقواله وأفعاله فيحسن سلوكه ، وبذلك يكثر ثوابه وحسناته من خلال أفعاله وأقواله ولذلك ضرب الله مثلا للكلمة الطيبة بأنها كالشجرة الطيبة التي تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها فقال تعالى " أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ "[١]

٢- كذلك من خلال دراسة الأخلاق يعرف الإنسان الخير من الشر ويكون ذا وعي ناضج بميدانهما وحدودهما.

٣- كذلك دراسة علم الأخلاق والسير على منهجه يجعل الإنسان يرتقي إلى أعلى الدراجات في الدنيا والآخرة لأنه يكون من خيار الناس يدل على هذا ما رواه البخاري بسنده **عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: " لَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاحِشًا وَلاَ مُتَفَحِّشًا، وَكَانَ يَقُولُ: «إِنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحْسَنَكُمْ أَخْلاَقًا»**[٢] فلا يكون الناس ذا سلوك حسن إلا إذا كانت لديه قيم ومعايير أخلاقيه ولا يأتي هذا إلا بدراسة علم الأخلاق وتطبيق منهجه وتقبل أوامره وهذا يكون عن طريق يقظة الضمير والاستعداد الوجداني لحب الخير ونبذ الشر فحينئذ يحقق لنفسه التقوى والصلاح وما هو يحرص عليه علم الاخلاق .

هذه أهم الفوائد من دراسة هذا العلم .

علاقة الخلق بالسلوك

قبل بيان العلاقة بين الخلق والسلوك ينبغي أولا تعريف مصطلح السلوك

فالسلوك : **مصدر سلك طريقا؛ وسلك المكان يسلكه سلكا وسلوكا وسلكه غيره وفيه وأسلكه إياه وفيه وعليه** وبهذا فهو السيرة والمذهب والاتجاه تقول فلان حسن السلوك وسيء السلوك.

---

١ – سورة إبراهيم الآيتان رقم (٢٤ /٢٥).

٢ – صحيح البخاري كتاب المناقب / باب ما جاء في صفة النبي – صلي الله عليه وسلم – حديث رقم (٣٥٥٩).

وعلم السلوك عند القدماء هو معرفة النفس مالها وما عليها ويسمى بعلم الأخلاق وموضوعه أخلاق النفس والبحث عن عوارضها الذاتية لمعرفة الطريق التي يجب سلوكها)[1]

توجد علاقة وطيدة بين الخلق والسلوك فالخلق سجية داخلية لا تظهر إلا عن طريق سلوك الشخص فمثلا الإنسان الذي خُلقه الكرم لا يعرف إلا من خلال سلوكه وبذله وعطائه ولذلك قالوا (علم الأخلاق هو علم السلوك)[2]

ومن هنا نستطيع أن نقول أن العلاقة بينهما هي علاقة الدال على المدلول، فإذا كان سلوك المرء حسنا،دل على أن الخلق حسن،والعكس صحيح.بشرط أن لا توجد مؤثرات خارجية تعوق الشخص أن يعبر عن أخلاقة كالرجل الذي خلقه الكرم ولكن لم يوجد معه مال ومن هنا لا بد وأن نراعي الأحوال والظروف قبل أن نحكم على الأشخاص.

وعلى أية حال فالعلاقة بين السلوك والخلق علاقة لا تنفك حتى وإن حالت الظروف في أن يعبر الإنسان عن خلقه إلا أنه يكون له سمات أخرى تظهر في أفعاله وأقواله تدلل على ما في سيرته من حسن الخلق أو خلافه.

ولما تبين إلينا من خلال ما عرضناه سابقا، أن المرجئة يعتقدون أن الإيمان مجرد عن العمل فلا داعى للعمل طالما الإنسان أمن بالله، سواء بقلبه أم بالمعرفةأو بالنطق بلسانه، بأنه أمن بالله عزوجل دون النظر إلى الجانب التطبيقي العملى لهذا الإيمان، الذي أقر به إقرارا قلبيا ،أو ذهنيا أو قولا، وهذا مما يترتب عليه سوء الأخلاق ونبذ الفضائل، وإهدار للقيم والمبادئ الدينية؛ لأن بدون العمل والتطبيق لا يكون هناك قيم أو فضائل لأن السعادة تكمن في الإمتثال للأوامر والنواهي يقول الله تعالى " **مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**"[3]

---

١ ينظر لسان العرب لابن منظور (جـ١٠ / صـ ٤٤٢) / طـ دار صادر – بيروت ١٤١٤هـ و المعجم الفلسفي د . جميل صليبا (جـ١ / صـ ٦٧١).

٢ – المعجم الفلسفي د . جميل صليبا (جـ١ / صـ٥٤٠).وينظر فلسفة الأخلاق تألبف / د. مصطفى عبده (صـ١٧) الطبعة الثانية – مكتبة مدبولي – القاهرة ١٩٩٩م.

٣ – سورة النحل الآية رقم (٩٧)

وهكذا قال الفلاسفة حيث ربطوا السعادة الأخلاقية في الحرص على التطبيق العملى (فسقراط جعل السعادة القائمة على أساس من سيطرة العقل على دوافع الشهوة ونوازع الهوى أساسا لكل فعل خُلقي،ورد الإنسان إلى حياة الاعتدال التي أساسها معرفة الحق والخير والجمال، وجعلوا الفضيلة وليدة المعرفة فمن عرف الحق حرص على فعله، ومن أدرك الشر توخى الابتعاد عنه،لأنه لا يأتي الشر إلا من جهله)[1]

فالأخلاق تكمن في معرفة الفضائل وكيفية تطبيقها واقتنائها،لتتحلى النفس بها، ومعرفة الرذائل وكيفية توقيها والبعد عنها[2]

وبناء على هذا فإن (مفكري الإسلام على اتفاق في إقامة المبادئ الخلقية على أساس الإيمان بالله على نحو ما ورد في القرآن الكريم)[3]

فمن خلال ماسبق : تبين أن المبادئ الأخلاقية تنطوي في التطبيق الفعلى وممارسة الفضائل ولكن أين المبادئ والقيم الأخلاقية عند المرجئة أم أنهم لا يعترفون بوجود أخلاق أصلا ؟

لا أجد ردا غير إني أقول بناء على منهجهم في الإيمان فإن سلوك الإنسان ليس ذي بال عندهم وبالتالي لا قيمة للأخلاق وبالتالي لا أساس للقيم الأخلاقية عندهم وهذا له أثاره السلبية المتمثلة فيما يالي:

١- إهدار أحكام الشريعة الإسلامية، وعدم الانقياد لها، فلا يكون هناك ما يسمى بالحلال ولا بالحرام لعدم الاحتياج إليهما،فالمؤمن مهما فعل من المعاصي لا يضر بإيمانه وهذا فتح لباب الشر وحدوث الشرور والآثام مما يترتب عليه الفساد الذي يهلك المجتمع بأكلمه قال تعالى في شأن الفساد وخلو المجتمع من القيم والأخلاق (**ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ**)[4] .

٢- ضياع سنة النبي صلى الله عليه وسلم المتمثلة في التطبيق العملى للشريعة الإسلامية من أقواله وأفعاله وتقريراته صلى الله عليه وسلم .

---

١ – مشكلة الخير والشر في الفكر الإسلامي أصولها – تطبيقاتها / دكتور محمد السيد الجليند (جـ ١/ صـ ٢) / طـ مطبعة المتقدم – القاهرة ١٩٧٧م.

٢ – فلسفة الأخلاق نشأتها وتطورها / د توفيق الطويل (صـ ١٦٠) بتصرف.

٣ – فلسفة الأخلاق نشأتها وتطورها / د توفيق الطويل (صـ ١٦٠)

٤ – سورة الروم الآية رقم (٤١).

فلو كل إنسان قال آمنت بالله تعالى أو صدق بقلبه ثم اكتفى بهذا ولم يطبق إيمان هذا بجوارحه فتكون سنة النبي صلى الله عليه وسلم المتمثله في أوامر ونواهيه عبث وخالية من الحكمة لأن الإنسان مؤمن بدون أن يطبقها وهذا بعيد كل البعد عن المنهج الصحيح ولا ادري من أين أتت المرجئة بأقولهم هذه وأين هم من قوله تعالى " وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ)[1]

٣-إهدار قيمة العمل الذي يمثل جوهرية التكاليف، التي جاء بها الرسل الكرام صلوات ربي وتسليماته عليهم، وكل هذا يؤدى إلى الإنحلال الخلقى، ونشر الفساد والإباحية، وتصبح الرسالات عبثا لا فائدة منها .وفي هذا يقول المكلاتي : (معاشر المرجئة ، مذهبكم يرفع معظم التكاليف من الأوامر والنواهي، ويفتح باب الإباحية ؛لأنه إن لم يكن مؤاخذا بترك ما أمر به، لم يكن مثابا بامتثال ما أمر به، وهذا كله معلوم بطلانه من جهة الشرع، ولا خفاء بذلك ولا معنى للإطناب)[2]

فهنا يبين المكلاتي أن مذهبهم مخالف لما عليه الدين الحنيف لأن الدين الحق هو الإيمان بأصوله وتطبيق حدوده ولكن المرجئة تخلوا عن وقصروا الإيمان إلى التصديق دون العمل فأدى هذا بهم إلى نشر الإباحية وهدم المبادئ الأخلاقية ولذلك قبل أن أناقشهم في مذهبهم هذا أبين بإيجاز الإيمان عن أهل السنة .

١ – سورة الحشر جزء من الآية رقم (٧).
٢ – المكلاتي (صـ ٣٩١).

الإيمان عند أهل السنة

الإيمان عند جمهور الأشاعرة هو التصديق سواء في اللغة أو الشرع .(**قُلْنَا الْإِيمَان هُوَ التَّصْدِيق بِاللَّه تَعَالَى وَهُوَ الْعلم والتصديق يُوجد بِالْقَلْبِ فَإِن قَالَ وَمَا الدَّلِيل على مَا قُلْتُمْ**

قيل لَهُ إِجْمَاع أهل اللُّغَة قاطبة على أَن الْإِيمَان فِي اللُّغَة قبل نزُول الْقُرْآن وبعثة النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم هُوَ التَّصْدِيق لَا يعْرفُونَ فِي لغتهم إِيمَانًا غير ذَلِك

وَيدل على ذَلِك قَوْله تَعَالَى {وَمَا أَنْت بِمُؤْمِن لنا وَلَو كُنَّا صَادِقين}[1] أَي مَا أَنْت بمصدق لنا وَمِنْه قَوْلهم فلَان يُؤمن بالشفاعة وَفُلَان لَا يُؤمن بِعَذَاب الْقَبْر أَي لَا يصدق بذلك فَوَجَبَ أَن يكون الْإِيمَان فِي الشَّرِيعَة هُوَ الْإِيمَان الْمَعْرُوف فِي اللُّغَة)[2]

ويقول الشهرستاني في بيان عقيدة الأشعري في الإيمان (الإيمان هو التصديق بالجنان. وأما القول باللسان والعمل بالأركان ففروعه، فمن صدق بالقلب أي أقر بوحدانية الله تعالى، واعترف بالرسل تصديقا لهم فيما جاءوا به من عند الله تعالى بالقلب صح إيمانه حتى لو مات عليه في الحال كان مؤمنا ناجيا، ولا يخرج من الإيمان إلا بإنكار شيء من ذلك.) [3]

وبعد أن يعرض الآمدي أقوال أهل العلم في بيان حقيقة الإيمان يقول (**والحق في هذه المسألة غير خارج عن مذهب الشيخ أبى الحسن الأشعرى: وهو أن الإيمان بالله– تعالى– هو تصديق القلب به. فإن التّصديق من أحوال النفس. ومن ضرورته المعرفة شرعا)**[4]

---

١ – سورة يوسف جزء من الآية رقم (١٧).

٢ – تمهيد الأوائل في تلخيص الدلائل المؤلف: محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم، القاضي أبو بكر الباقلاني المالكي (المتوفى: ٤٠٣هـ) المحقق: عماد الدين أحمد حيدر (صـ ٣٩٠) / طـ : مؤسسة الكتب الثقافية – لبنان ، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م

٣ –الملل والنحل للشهرستاني (صـ ١٠١).

٤ – أبكار الأفكار في أصول الدين /لسيف الدين الآمدي /تحقيق: أ. د. أحمد محمد المهدي (جـ ٥ / صـ ٩) / طـ : دار الكتب والوثائق القومية – القاهرة / ١٤٢٤ هـ –٢٠٠٤م

ولبيان أن الأشاعرة يقرون بشرطية العمل وأنهم لا يهملونه (فعلمنا انتفاء التّصديق عند وجود هذه الكبائر سمعا)[1]

وخلاصة مذهب جمهور الأشاعرة في الإيمان

١ . أن الإيمان الشرعي: هو الإيمان المعروف في اللغة وهو التصديق المخصوص.

٢ . أن التصديق محله القلب فقط، بدليل الآيات التي تنسبه إليه دون غيره، . وذلك دليل على أن الإقرار والعمل لا دخل لهما في التصديق. ووردت أدلة كثيرة تؤكد أن الإيمان تصديق قلبي قال تعالى

تعالى: {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ}[2].

وقال: {مَنْ كفر بالله مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنّ}[3] .

وقال: {قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ}[4]

٣ . أن العمل خارج عن الإيمان ومغاير له، بدليل عطف العمل على الإيمان والعطف دليل على المغايرة.كقوله تعالى (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا)[5]

يقول الإمام الرازي عند تفسيره لهذه الآية (عطف عمل الصالحات على الإيمان والمعطوف مغاير للمعطوف عليه وذلك يدل على أن الأعمال الصالحة مغايرة للإيمان.)[6]

٤ . أن القرآن الكريم ولغة العرب، والإجماع، تدل على بقاء الإيمان على أصله اللغوي.

---

١ – أبكار الأفكار في أصول الدين (جـ ٥ / صـ ١٩)

٢ – سورة المائدة جزء من الآية رقم (٤١).

٣ – سورة النحل جزء من الآية رقم (١٠٦).

٤ – سورة الحجرات جزء من الآية رقم (١٤).

٥ –سورة الكهف الآية رقم (١٠٧).

٦ – مفاتيح الغيب للرازي (جـ ٢١/ صـ ٥٠٢).

٥- . أن الإقرار والعمل شرط في الإيمان، يلزم الإتيان بهما، ومَن فرَّط فيهما فهو معَّرض للعقاب.

فهذه النقاط الخمس هي ملخص مذهب جمهور الأشاعرة في حقيقة الإيمان.[١]

وفي الشرع "اعتقاد بالقلب وقول باللسان وعمل بالجوارح وهو بضع وسبعون شبعة".[٢]

فالسلف قالوا: هو اعتقاد بالقلب، ونطق باللسان، وعمل بالأركان، وأرادوا بذلك أن الأعمال شرط في كماله، ومن هنا نشأ لهم القول بزيادة الإيمان ونقصه[٣]

وبعد أن بين الله عزوجل أن الإيمان محله القلب، فلا بد وأن يعتقد الإنسان بقلبه، وينطلق لسانه، ثم تترجم الجوارح، هذا الإيمان بتتطبيق ما أمر به الإسلام ،ولذلك يقول الله عزوجل {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ}[٤]

وقوله صلى الله عليه وسلم لوَفْدَ عَبْدِ الْقَيْسِ لَمَّا قَدِمُوا إليه ، أَمَرَهُمْ بِالإِيمَانِ بِاللهِ، (قَالَ صلى الله عليه وسلم : أَتَدْرُونَ مَا الإِيمَانُ بِاللهِ وَحْدَهُ؟ قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: شَهَادَةُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامُ الصَّلاَةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصِيَامُ رَمَضَانَ، وَأَنْ تُعْطُوا مِنَ المَغْنَمِ الخُمُسَ.....الحديث[٥]

---

١ - الإيمان بين السلف والمتكلمين / : أحمد بن عطية بن علي الغامدي (صـ ١٥٧) / طـ مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية ، ١٤٣٢هـ/٢٠٠٢م

٢ - شرح ثلاثة الأصول /لمحمد بن صالح بن محمد العثيمين (صـ ٧٩) / ط: دار الثريا للنشر- ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م

٣ - لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية المؤلف: شمس الدين، السفاريني الحنبلي (جـ١ / صـ ٤٠٥) / طـ: مؤسسة الخافقين ومكتبتها – دمشق ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م

٤ - سورة الأنفال الأيات (٢-٤).

٥ - صحيح البخاري / كتاب الإيمان / باب أداء الخمس من الإيمان (جـ١ / صـ٢٠ / حديث رقم (٥٣).

ويتضح لنا أن الاعتقاد بالقلب ،والنطق باللسان ،والعمل بالجوارح، هو مسمى الإيمان، فلا إيمان بدون عمل، وعلى هذا تربى أصحاب النبي –صلى الله عليه وسلم –
والخلاف بين أهل السنة الأشاعرة وغيرهم خلاف لفظي فسواء من عرف الإيمان بأنه تصديق قلبي، والعمل من فروعه ،ولابد منه ،وبين من عرف الإيمان وجعل العمل ركن أساسي من أركانه، فكلاهما يؤكد ضرورة العمل، دون إهمال.
وبذلك يُرد قول من قال بأن الأشاعرة من المرجئة، فهم ليسوا كذلك. والفارق لا يخفى على ذوي الألباب.

(فالعمل له عندهم مكانة كبيرة، فتاركه أو تارك شيئ منه يكون مذنباً معرَّضاً للعقاب وهذا ما يجعلني أقول: إن ما ذهب إليه شيخ الإسلام ابن تيمية . رحمه الله .، وما سبقه إليه ابن حزم الظاهري من عد طائفة الأشاعرة من جملة المرجئة المناصرة لمذهب جهم في الإيمان ٢، أمر لا يتناسب مع الواقع. والإنصاف يدفعنا إلى القول بأن القوم لم يقصروا كثيراً في اعتبار العلم إلى حد يبرِّر إلزاقه هذا اللقب . الذي عُرف بالذم والقبح عند أغلب الطوائف . بهم، وعدهم من جملة الجهمية المرجئة، إذ أن الخلاف في هذه المسألة بينهم وبين جماعة السلف خلاف لفظي، لأنه ينحصر في الشرطية التي قال بها الأشاعرة والشطرية التي قال بها السلف، والكل متفق على ضرورة الإتيان بالعمل والإقرار دون تفريط أو تقصير، والمقصر فيهما مؤاخذ على تقصيره ومعرَّض للعقاب، إن شاء الله عذبه، وإن شاء غفر له، وأن الإيمان المنجي من التخليد في النار هو التصديق القلبي الجازم لقوله صلى الله عليه وسلم: " يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان " شريطة أن لا يكون قد ترك العمل استحلالاً وجحوداً وعناداً. فإذاً القوم يخرجون الإقرار والعمل عن الركنية في الإيمان، مع التشدد في الإتيان بهما كشرط لتحقق الإيمان وكماله وكدليل ظاهري محسوس على وجود حقيقته في أعماق القلب)[1]

١ – الإيمان بين السلف والمتكلمين / : أحمد بن عطية بن علي الغامدي (صـ ١٥٣).

وبناء على ذلك فإنَّ:

(مذهب جماعة أهل السنة من سلف الأمة وخلفها: أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص بدليل قوله تعالى: {لِيَزْدَادُوا إِيمَاناً مَعَ إِيمَانِهِمْ})[1]

ويقول صاحب كتاب اللامع الصبيح ما نصه: (مذهب جميع أهل السنة سلف الأمة وخلفها: أن الإيمان قول وعمل، ويزيد وينقص، والمعنى الذي يستحق به العبد المدح والموالاة من المؤمنين هو الثلاثة: التصديق، والإقرار، والعمل، ولا خلاف أنه لو أقر، وعمل بلا اعتقاد، أو اعتقد وعمل وجحد بلسانه لا يكون مؤمنا، وكذا إذا أقر واعتقد، ولم يعمل الفرائض لا يسمى مؤمنا بالإطلاق.)[2]

فالإجماع على أن (الإيمان حقيقته عند أهل السنة والجماعة هو: "اعتقاد القلب، وقول اللسان، وعمل الجوارح" وهو في هذا موافق لمنهج أهل السنة والجماعة.)[3]

ويفهم من خلال ما سبق:

أن الإيمان مرتبط بالعمل فلا يقبل إيمان بلا عمل ولا عمل بدون إيمان وهذا ما دلت عليه الأيات والأحاديث وعلى هذا المنهج ربى النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه رضوان الله عليهم والتابعين من بعدهم ولذلك قوى إيمانهم وظهرت ثمرات الإيمان علة سلوكهم فتجملت أخلاقهم وطابت **حياتهم قال تعالى (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)[4]**

---

١ – شرح الأربعين النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية/ لابن دقيق العيد (صـ٣٣) / طـ: مؤسسة الريان ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م

٢ – اللامع الصبيح بشرح الجامع الصحيح / المؤلف: شمس الدين البِرْماوي النعيمي العسقلاني المصري الشافعي تحقيق ودراسة: لجنة مختصة من المحققين بإشراف نور الدين طالب (جـ١ / صـ١٢١) / طـ : دار النوادر، سوريا ١٤٣٣ هـ – ٢٠١٢ م

٣ – التَّنويرُ شَرْحُ الجَامِع الصَّغِيرِ /المؤلف: محمد بن إسماعيل الصنعاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف بالأمير / تحقيق: د. محمَّد إسحاق محمَّد إبراهيم (جـ١ / صـ ٨٤) / طـ : مكتبة دار السلام، الرياض ١٤٣٢ هـ – ٢٠١١ م

٤ – سورة النحل الآية رقم (٩٧).

وبعد عرض موقف أهل السنة من الإيمان أناقش المرجئة فيما ذهبوا إليه في قولهم في الإيمان وأثره الأخلاقي.

مناقشة معتقد المرجئة في الإيمان

إن القول بتجرد الإيمان عن العمل قول مخالف لما ورد في الدين الحنيف حيث ربط الإسلام بين الإيمان والعمل تحقيقا للأخلاق مصدقا لقول النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه أحمد في مسنده عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق "[1]

ونشر للفضائل وزيادة في الإيمان ولذلك ربط فلاح المؤمن بأعماله المشتملة على الأخلاق الفاضلة فقال تعالى " **قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**)[2]

...) فالشريعة الإسلامية ترسخ الدعائم الرئيسة للأخلاق، وهي ما جبلت عليها الفطرة السيلمة، المتمثلة في الشعور الداخلي ،أو الضمير أو الحاسة الخلقية ،وللمحافظة على هذا الدور الفعال الذي يقوم به الضمير من التمييز بين الخير والشر، وتحديد الإتجاه الذي ينبغي أن يسير عليه الإنسان، لابد من التربية الحسنة ،على أركان الإسلام ،والجمع بين المعرفة النظرية، والتطبيق العملى، ولهذا حرص الدين الإسلام على التربية في كل أوامره، وخاصة أركان الإسلام ؛لأنَّها هي التي تدل على إيمان المرء، بالإضافة إلى أن كل ركن يحتوي على الجانب الأخلاقي، الذي من خلاله ينضبط

---

١ – مسند الإمام أحمد بن حنبل لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل /تحقيق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون (جـ ١٤/ صـ٥١٣) طـ: مؤسسة الرسالة ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م

٢ – سورة المؤمنون من الآية رقم (١إلى رقم ١١)

السلوك الإنساني، حني يرتقي بصاحبة ،إلى أعلى الدرجات في زيادة الإيمان، وجسن أخلاقة ،وسلوكه.

ولبيان ذلك يتضح في الأتي:

أولا : شهادة التوحيد (شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله صلي الله عليه وسلم)

الله تبارك وتعالي فطر الناس على الدين الحق وهو الاستسلام والإنقياد للعبادة الله تعالى وإفراده بالوحدانية قال تعالى (**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**) [1]

وروى البخاري بسنده أنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ يُحَدِّثُ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ.... الحديث [2] وتأكيدا لذلك أمر الله تعالى رسله الكرام أن يهتموا أولا بترسيخ وتحقيق التوحيد لله تعالى في نفوس العباد لأن من أيقن بقلبه بأن الله واحد أحد وأنه عبد ذليل لله تعالى أرتفع الإنسان إلى درجات عليا من السمو الخلقي الذي يظهر أثره على سلوكه وأما من خالف هذا وسار خلف الشيطان هبط به ضميره إلى درجات الدنائة، وسوء السلوك ،حتي ينحط إلى مرتبة الأنعام بل أضل (أوليك كالأنعام) ولكن من كان ضمير حي كان مكتسبا للأخلاق الحميده يبرهن عليها سلوكه القويم وبهذا (أصبح الإيمان بالله وبالتعاليم السماوية هي الفيصل في اتجاهات الإنسان وأفعاله، فإما إيمان قوي يقود الإنسان إلي الخير، وإما إلحاد وكفر يجره إلى ارتكاب الشرور)[3] فالضمير إذا كان مؤمن بالله تعالى كان أثره على سلوك الإنسان جلي واضح ومن هذه الآثار التي تظهر على السلوك:-

١- المحبة لله تعالى ورسوله- صلي الله عليه وسلم- ولجميع المسلمين.

٢- الخوف من الله ومراقبته في السر والعلن مما يورث التقوى فيستيقظ الضمير ويعلو الجانب الأخلاقي ويترجم كل ذلك السلوك كما قيل النية تترجمها الأفعال.

---

١ - سورة الذاريات الآية رقم (٥٦)

٢ - صحيح البخاري باب إذا اسلم الصبي فمات / جـ٢/ صـ٩٤/ حديث رقم (١٣٥٨)

٣ - الجانب الإيماني والأخلاقي في الإسلام تأليف أستاذنا أد / محمد عبد الفضيل عبد العزيز القوصي(صـ٢٠١)

ثانيا : إقامة الصلاة

الصلاة هي ركن ركين فهي عماد الدين ،والحبل المتين بين العبد وربه إذا أقمها الإنسان بحق نهته عن الفحشاء والمنكر والجزع والهلع قال تعالي في بيان ركنها والأمر بإقامتها (وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ)[1]

فالصلاة تحيي الضمير وتطمئن القلب كما قال تعالي (الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ)[2]

(العبد إذا صلى لله صار عبدا له، وحصل له منزلة المصلي يناجي ربه، فيستحيل منه أن يترك عبادة الله ويدخل تحت طاعة الشيطان المطرود، لكن مرتكب الفحشاء والمنكر تحت طاعة الشيطان فالصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر)[3]

فإذا كانت الصلاة تُصلح حال الإنسان داخليا ، بتقواه لله تعالي، فإن هذا الصلاح يظهر على سلوكيات الإنسان في الظاهر، وهذا أيضا من فاعليات الصلاة وفي هذا يقول الإمام الرازي

(واعلم أن هيئة الصلاة هيئة فيها هيبة فإن أولها وقوف بين يدي الله كوقوف المملوك بين يدي السلطان، ثم إن آخرها جثو بين يدي الله كما يجثو بين يدي السلطان من أكرمه بالإجلاس، كأن العبد لما وقف وأثنى على الله أكرمه الله وأجلسه فجثا، وفي هذا الجثو لطيفة وهي أن من جثا في الدنيا بين يدي ربه هذا الجثو لا يكون له جثو في الآخرة، ولا يكون من الذين قال الله في حقهم ونذر الظالمين فيها جثيا)[4]

(عن ابن عباس، رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قال الله تعالى إني لا أتقبل الصلاة إلا ممن تواضع بها لعظمتي ولم يستطل على خلقي ولم يبت مصرا على معصيتي وقطع نهاره في ذكري ورحم المسكين، وابن السبيل والأرملة ورحم

---

١ – سورة العنكبوت جزء من الآية رقم (٤٥).

٢ – سورة الرعد الآية رقم (٢٨).

٣ مفاتيح الغيب للرازي (جـ٢٥/ صـ ٦١).

٤ – مفاتيح الغيب للرازي (جـ٢٥/ صـ ٦٢).

المصاب ذلك نوره كنور الشمس أكلؤه بعزتي وأستحفظه ملائكتي وأجعل له في الظلمة نورا وفي الجهالة حلما ومثله في خلقي كمثل الفردوس في الجنة)[1]

ثالثا: إيتاء الزكاة

شرع الله تعالي الزكاة تطهيرا للسرائر، وتهذيبا للأخلاق،وتقويما للسلوك ولا يؤديها إلا المؤمن بالله تعالى فقال تعالى (**خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**)[2]

وتنظيما للسلوك قال تعالي " **قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ**"[3]

فهنا ترشدنا الآيات أن أيتاء الزكاة علامة على إيمان المرء فهى طهارة لنفسه وماله وأما المؤمن الذي ادعى الإيمان، ولم يؤدى ما عليه من حقوق في الزكاة توعده الله تعالى بالعذاب الأليم فقال : (**وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ . يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ**)[4]

ولأهمية ميثاق الزكاة جعلها الله تعالى علامة على تأليف القلوب والمحبة والألفة وهذا من أهم ما يدل على إيمان المرء .

قال تعالي (فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ)[5]

---

١ – مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار / لأبي بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي المعروف بالبزار (المتوفى: ٢٩٢هـ) (جـ١١/ صـ١٠٥ / حديث رقم ٤٨٢٣) طبعة مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة
الطبعة: الأولى، (بدأت ١٩٨٨م، وانتهت ٢٠٠٩م)

٢ سورة التوبة الآية رقم (١٠٣).

٣ – سورة البقرة الآيتان (٢٦٣،٢٦٤)

٤ – سورة التوبة الآيتان (٣٤– ٣٥).

٥ – سورة التوبة جزء من الآية رقم (١١).

(عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلى الله عَليهِ وسَلمَ: تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ، وَأَمْرُكَ بِالمَعْرُوفِ وَنَهْيُكَ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ، وَإِرْشَادُكَ الرَّجُلَ فِي أَرْضِ الضَّلاَلِ لَكَ صَدَقَةٌ، وَبَصَرُكَ لِلرَّجُلِ الرَّدِيءِ البَصَرِ لَكَ صَدَقَةٌ، وَإِمَاطَتُكَ الحَجَرَ وَالشَّوْكَةَ وَالعَظْمَ عَنِ الطَّرِيقِ لَكَ صَدَقَةٌ، وَإِفْرَاغُكَ مِنْ دَلْوِكَ فِي دَلْوِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ.) [1]

رابعا : صوم رمضان

شرع الله تعالى الصيام لزيادة التقوى قال جلا شأنه مخاطبا عباده المؤمنين **(يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)** [2]

جاء النداء للمؤمنين حثا على العمل، الذي يعبر عن الإيمان، فأول ثمرة من ثمار هذه الفريضة تربية الضمير على تقوي الله عزوجل وإذا نجح الإنسان في تحقيق ذلك ،أصبح مراقبا لله تعالى ،في جميع شؤونه، مما يجعله ينطبع على كل ما هو خير، في جميع سلوكياته عبادات ومعاملات.ويزداد إيمانه وتقواه لله تعالى .

وإذا حقق الإنسان لنفسه تقوى الله عزوجل من خلال أداء هذه الفريضة فإنها تسموا به إلى درجة عالية من الأخلاق ومظهره السلوكي يتضح ذلك في قول النبي – صلي الله عليه وسلم –

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، روى البخاري بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: " الصِّيَامُ جُنَّةٌ فَلاَ يَرْفُثْ وَلاَ يَجْهَلْ، وَإِنِ امْرُؤٌ قَاتَلَهُ أَوْ شَاتَمَهُ فَلْيَقُلْ: إِنِّي صَائِمٌ مَرَّتَيْنِ "

فالصيام وقاية وحجاب عن المعاصي والشهوات ؛لأن قلب الصائم الحقيقي يكون عامر بتقوى الله عزوجل فعند ذلك يتحلي بالأخلاق الحميدة والسلوك القويم وهذا من أثر الضمير الحي الذي أمن بالله تعالى وأيقن بالمراقبة والخوف منه عزوجل .

---

١ – سنن الترمذي = الجامع (جـ٣/ صـ٢٢٣/ حديث رقم ٢٠٧١) وقال الترمذي هذا حديث حسن غريب.

٢ – سورة البقرة الآية رقم (١٨٣).

فهذه الأركان تشتمل على الأعمال الظاهرية والباطنية وبتنفيذها يُحسن الإنسان أخلاقة ويزداد إيمان قال تعالى
: {وَمَا زَادَهُمْ إِلا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا}[1]
وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: {وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ}[2]
وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: {لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ}[3].
وَقَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ: {وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا}[4]
وقال الإمام أبوحنيفة «الإيمان بعضه أفضل من بعض، يزيد وينقص، وزيادته في العمل، ونقصانه في ترك العمل؛ لأن القول هو مقربة»[5]
ويقول أيضا : (وَلَا نقُول إِن الْمُؤمن لَا تضره الذُّنُوب وَلَا نقُول إِنَّه لَا يدْخل النَّار وَلَا نقُول إِنَّه يخلد فِيهَا وَإِن كَانَ فَاسِقًا بعد إِن يخرج من الدُّنْيَا مُؤمنا وَلَا نقُول إِن حَسَنَاتنَا مَقْبُولَة وسيئاتنا مغفورة كَقَوْل المرجئة وَلَكِن نقُول من عمل حَسَنَة بِجَمِيع شرائطها خَالِيَة عَن الْعُيُوب الْمفْسدَة وَلم يُبْطِلهَا بالْكفْر وَالرِّدَّة والأخلاق السَّيِّئَة حَتَّى خرج من الدُّنْيَا مُؤمنا فَإِن الله تَعَالَى لَا يضيعها بل يقبلهَا مِنْهُ ويثيبه عَلَيْهَا)[6]
وهذا هو الدين الإسلامي الذي ارتضاه الله تعالى لعباده (فاعلموا رحمنا وإياكم أن الله تعالى بعث محمدا صلى الله عليه وسلم إلى الناس كافة ليقروا بتوحيده، فيقولوا: لا إله إلا الله محمد رسول الله فكان من قال هذا موقنا من قلبه وناطقا بلسانه أجزأه، ومن مات على هذا فإلى الجنة، فلما آمنوا بذلك، وأخلصوا توحيدهم، فرض عليهم الصلاة بمكة، فصدقوا بذلك، وآمنوا وصلوا، ثم فرض عليهم الهجرة، فهاجروا، وفارقوا الأهل والوطن، ثم فرض عليهم بالمدينة الصيام،

---

١ – سورة الأحزاب جزء من الآية رقم (٢٢)
٢ – سورة فاطر جزء من الآية رقم (١٠).
٣ – سورة الفتح جزء من الآية رقم (٤).
٤ – سورة المدثر جزء من الآية رقم (٣١)
٥ – السنة / لأبي بكر الخَلَّال البغدادي الحنبلي /تحقيق: د. عطية الزهراني/ (جـ٣ / صـ٥٨١) / طـ دار الراية – الرياض / ١٤١٠هـ – ١٩٨٩م
٦ – الفقه الأكبر / لأبي حنيفة النعمان (صـ ٤٦،٤٧) / طـ: مكتبة الفرقان – الإمارات العربية / ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م

فآمنوا وصدقوا وصاموا شهر رمضان، ثم فرض عليهم الزكاة، فآمنوا وصدقوا، وأدوا ذلك كما أمروا، ثم فرض عليهم الجهاد، فجاهدوا البعيد والقريب، وصبروا وصدقوا، ثم فرض عليهم الحج، فحجوا وآمنوا به، فلما آمنوا بهذه الفرائض، وعملوا بها تصديقا بقلوبهم، وقولا بألسنتهم، وعملا بجوارحهم قال الله تعالى: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا} [1] ثم أعلمهم أنه لا يقبل في الآخرة إلا دين الإسلام فقال تعالى: {وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ، وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ} [2]

وقال تعالى: {إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ} [3]، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: " بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وصوم شهر رمضان، وحج البيت الحرام من استطاع إليه سبيلا " ثم بين النبي صلى الله عليه وسلم لأمته شرائع الإسلام، حالا بعد حال، وسنذكر ذلك إن شاء الله تعالى، وهذا رحمكم الله طريق المسلمين فإن احتج محتج بالأحاديث التي رويت: " من قال: لا إله إلا الله دخل الجنة " قيل له: هذه كانت قبل نزول الفرائض، على ما تقدم ذكرنا له، وهذا قول علماء المسلمين، ممن نفعهم الله تعالى بالعلم، وكانوا أئمة يقتدى بهم، سوى المرجئة الذين خرجوا عن جملة ما عليه الصحابة، والتابعون لهم بإحسان، وقول الأئمة الذين لا يستوحش من ذكرهم في كل بلد)[4]

ونخلص من هذا أن القول بفصل الإيمان عن العمل دعوة فاسدة وعقيدة باطلة تفتح أبواب الإباحية على مصرعيها وتنشر الرذيلة وتضيع الأخلاق الحميدة وإنما الحق هو أن الإيمان اعتقاد بالقلب ونطق باللسان وعمل بالجوارح والأركان وحينئذ يقوى الإيمان وتنشر الفضائل وتعم الأخلاق الحميدة التى حصر النبي صلى الله عليه وسلم رسالته في إتمام مكارم الأخلاق .

---

١ – سورة المائدة جزء من الآية رقم (٣).

٢ – سورة آل عمران الآية رقم (٨٥).

٣ – سورة أل عمران جزء من الآية رقم (١٩).

٤ – الشريعة / لأبي بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجُرِّيُّ البغدادي / تحقيق: الدكتور عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي / (جـ١ / صـ ٥٥٠) / طـ : دار الوطن – الرياض / السعودية / ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م

وصدق القائل:

ولاتك مرجيا لعوبا بدينه ألا إنما المرجي بالدين يمزح
وقل إنما الإيمان قول ونية وفعل على قول النبي مصبح
وينقص طورا بالمعاصي وتارة بطاعته ينمى وفي الوزن يرجح [1]

فحذر من الأخذ باعتقاداتهم؛ لأنهم قالوا الإيمان قول فقط، وليس العمل سواء كان صلاة أو صياما أو زكاة أو حجا من الإيمان.وهذا مخالف لما قرره الإسلام كما سلف بيانه.

ولذلك ورد **عَنِ الزُّهْرِيِّ قَالَ: " مَا ابْتُدِعَتَ فِي الْإِسْلَامِ بِدْعَةٌ أَضَرُّ عَلَى الْمِلَّةِ مِنْ هَذِهِ يَعْنِي: أَهْلَ الْإِرْجَاءِ "** [2]

١ قصيدة عبد الله بن سليمان الأشعث/ لعبد الله بن سليمان الأشعث أبو بكر/ صـ ٣٨ / تحقيق: محمود محمد الحداد / طـ دار طيبة – الرياض / ١٤٠٨هـ

٢ – الشريعة / لأبي بكر البغدادي (جـ٢ / صـ ٦٧٦).

المبحث الثالث

معتقدهم في مرتكب الكبيرة وعلاقتها بالأخلاق ومناقشتهم

المقصود بالكبيرة:

هي ما كان حرامًا محضًا، شرعت عليه عقوبة محضة بنص قاطع في الدنيا والآخرة.أو هي الإثم الكبير المنهي عنه شرعا(١)

ومنه قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴾(٢) ولقد فصل النبي – صلى الله عليه وسلم – الكبائر المنهي عنها شرعا يتضح ذلك فيما روى عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– قَالَ " اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ ". قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا هُنَّ قَالَ " الشِّرْكُ بِاللَّهِ وَالسِّحْرُ وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ وَأَكْلُ الرِّبَا وَالتَّوَلِّى يَوْمَ الزَّحْفِ وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلاَتِ الْمُؤْمِنَاتِ "(٣)

موقف المرجئة

تبين لنا أن المرجئة يقولون بأنه لا تضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة وبناء على هذا قالوا بأن صاحب الكبيرة أمره مرجئ إلى الله تعالى فهو مؤمن كامل الإيمان فلا يخرج من دائرة الإيمان وهذا من (**أصل مذهبهم ترك القطع على أهل الكبائر**

---

(١) التعريفات للجرجاني (صـ ١٨٣)./ وينظر المعجم الوجيز / مجمع اللغة العربية / باب الكاف / صـ٥٢٥).

(٢) سورة الشورى الآية رقم (٣٧)

(٣) صحيح البخاري / كتاب الحدود/ باب من أظهر الفاحشة واللطخ والتهمة بغير بينة/ حديث رقم ٦٨٥٧/ صـ٨١٧. وينظر صحيح مسلم / باب بيان الكبائر / حديث رقم ٢٧٢/ جـ١/ صـ٦٤).

ولا يقتصر عدد الكبائر على ما ورد في هذا الحديث ولكن المشهور أن كل فعل أو قول يترتب عليه حد أو توعد بالنار أو اللعن أو الغضب فهو كبيرة من الكبائر.

إذا ماتوا غير تائبين بعذاب أو عفو وأرجئوا أمرهم إلى الله عز وجل ولهذا سموا المرجئة)[1]

(وأما المرجئة فهم يقولون بإرجاء حكم صاحب الكبيرة من المؤمنين إلى القيامة أي بتأخيره إليها. فلا يقضون عليه بحكم ما في الدنيا من كونه ناجيا أو هالكا ويقولون أيضا انه لا يضرّ مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة)[2]

(واختلف الناس فيمن عصى الله من أهل الشهادتين، فقالت المرجئة: لا تضره المعصية مع الإيمان)[3]

ولتهاونهم في شأن المعاصي جوزوا صدورها من الأنبياء مع اختلافهم هل هي كبائر أم لا على مقالتين:

(١ – فقالت الفرقة الأولى منهم: معاصيهم كبائر وجوزوا على الأنبياء فعل الكبائر من القتل والزنا وغير ذلك.

٢ – وقالت الفرقة الثانية: معاصيهم صغائر ليست بكبائر)[4]

ويقول عبد الله: (سَمِعْتُ أَبِيَ رَحِمَهُ اللَّهُ، وَسُئِلَ، عَنِ الْإِرْجَاءِ، فَقَالَ: " نَحْنُ نَقُولُ: الْإِيمَانُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ إِذَا زَنَى وَشَرِبَ الْخَمْرَ نَقَصَ إِيمَانُهُ)[5]

ومعنى قول الإمام أحمد(نحن نقول) أي قول أهل السنة وهذا القول خلاف ما عليه المرجئة .ولم يكتفوا بهذا بل قالوا أن المسلم مع ارتكابه للكبائر إلا أن إيمانه

---

١ – البدء والتاريخ/ المطهر بن طاهر المقدسي / (جـ٥ / صـ ١٤٤)./ مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد بدون

٢ – تاريخ مختصر الدول/ لأبي الفرج المعروف بابن العبري / تحقيق: أنطون صالحاني اليسوعي (صـ ٩٧) / طبعة: دار الشرق، بيروت، ١٩٩٢ م

٣ – شَرْحُ صَحِيح مُسْلِم لِلقَاضِى عِيَاض المُسَمَّى إِكمَالُ المُعْلِم بفَوَائِدِ مُسْلِم / للمؤلف / عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل / تحقيق: الدكتور يحْيَى إِسْمَاعِيل (جـ١ / صـ ٢٥٣) / طبعة : دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر ، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م

٤ – مقالات الإسلاميين واختلاف المصليين للأشعري (صـ ١٢٦).

٥ – السنة / لأبي عبد الرحمن عبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل / المحقق: د. محمد بن سعيد بن سالم القحطاني / جـ١/ صـ ٣٠٧) طـ دار ابن القيم – الدمام ، ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦ م

كإيمان الملائكة والرسل (قول المرجئة الْفَاسِق مَعَ فسقه مُؤمن مُسلم إيمَانه كَإِيمَانِ جِبْرِيل وميكال وَالرسل)[1]

ما أعظم جرم هذا القول الذي قالت به المرجئة حين سووا بين إيمان الفاسق وإيمان الرسل الكرام والملائكة المقربين فهل يعقل أن يكون من شرب الخمر وقتل وزنى وسرق في درجة الرسل الكرام الذين تنزهوا وتورعوا عن الشبهات وصغائر الذنوب وهم صفوة الخلق ومما يزيد الأمر شناعة أن المرجئة استدلوا بأدلة كثيرة حجة لهم – من وجهة نظرهم – على ما ذهبوا إليه ومن هذه الأدلة ما يلي:–

من أهم أدلتهم ومناقشتها

أولا: قوله تعالى " **رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ**"[2]

(احْتَجَّتِ الْمُرْجِئَةُ بِهَذِهِ الْآيَةِ فِي الْقَطْعِ عَلَى أَنَّ صَاحِبَ الْكَبِيرَةِ لَا يُخْزَى وَكُلُّ مَنْ دَخَلَ النَّارَ فَإِنَّهُ يَخْزَى، فَيَلْزَمُ الْقَطْعُ بِأَنَّ صَاحِبَ الْكَبِيرَةِ لَا يَدْخُلُ النَّارَ، إِنَّمَا قُلْنَا صَاحِبَ الْكَبِيرَةِ لَا يُخْزَى لِأَنَّ صَاحِبَ الْكَبِيرَةِ مُؤْمِنٌ، وَالْمُؤْمِنُ لَا يَخْزَى. ...ثُمَّ قَالَ تَعَالَى:" فَاسْتَجابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ "[3]

وَهَذِهِ الِاسْتِجَابَةُ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ تَعَالَى لَا يُخْزِي الْمُؤْمِنِينَ، فَثَبَتَ بِمَا ذَكَرْنَا أَنَّ صَاحِبَ الْكَبِيرَةِ لَا يَخْزَى بِالنَّارِ، وَإِنَّمَا قُلْنَا إِنَّ كُلَّ مَنْ دَخَلَ النَّارَ فَإِنَّهُ يَخْزَى لِقَوْلِهِ تَعَالَى: إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَحِينَئِذٍ يَتَوَلَّدُ مِنْ هَاتَيْنِ الْمُقَدِّمَتَيْنِ الْقَطْعُ بِأَنَّ صَاحِبَ الْكَبِيرَةِ لَا يَدْخُلُ النَّارَ)[4]

---

١ – التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع لمحمد بن أحمد بن عبد الرحمن، أبو الحسين المَلَطي العسقلاني / تحقيق: محمد زاهد بن الحسن الكوثري (صـ ٣٧) / طـ: المكتبة الأزهرية للتراث – مصر بدون.

٢ سورة آل عمران الآية رقم (١٩٢)

٣ – سورة آل عمران جزء من الآية رقم (١٩٥)

٤ – مفاتيح الغيب = التفسير الكبير/ لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي (جـ٩ / صـ٤٦٤،٤٦٥)/ طبعة : دار إحياء التراث العربي – بيروت – ١٤٢٠ هـ

نستنتج من هذا :

يستدل المرجئة على أن صاحب الكبيرة لا يدخل النار احتجاجا بأن الله تعالى يستجيب للمؤمنين وكل من استجاب الله له لا يخزى وصاحب الكبيرة مؤمن فهو ممن يستجيب الله تعالى لهم الدعوات فهو لا يخزى وبالتالي لا يدخل النار.استجابة لقولهم (**رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ**)[1] فكان الجواب (**فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ**.....)[2]

فبناء على هذا يكون صاحب الكبيرة مؤمن فلا يدخل النار.

الجواب

" يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ "[3]

لا يدل على نفي الإخزاء مطلقا، بل يدل على نفي الإخزاء حال كونهم مع النبي صلى الله عليه وسلم، وذلك لا ينافي حصول الإخزاء في وقت آخر.

وقوله "إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ "عام دخله الخصوص في مواضع منها: إن قوله تعالى: "وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا..."[4]

يدل على أن كل المؤمنين يدخلون النار، وأهل الثواب يصانون عن الخزي.

وثانيها: أن الملائكة الذين هم خزنة جهنم يكونون في النار، وهم أيضا يصانون عن الخزي. قال تعالى: "عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ "[5][6]

---

١ –سورة آل عمران الآية رقم (١٩٢)

٢ – سورة آل عمران جزء من الآية رقم (١٩٥)

٣ – سورة التحريم جزء من الآية رقم (٨).

٤ – سورة مريم الآيتان رقم (٧٢،٧١).

٥ – جزء من الآية رقم (٦).

٦ – مفاتيح الغيب للرازي (جـ٩/ صـ ٤٦٥)./ وينظر اللباب في علوم الكتاب / لأبي حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني/ تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض / (جـ٦/ صـ ١١٨،١١٧) / طبعة : دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان ١٤١٩ هـ –١٩٩٨م

يفهم من هذا

أن الإمام الرازي قد رد هذا التأويل الخاطئ الذي قالت به المرجئة – الذي عرض سابقا- وفسر بأن المراد بالخزي هنا ليس على سيبل الإطلاق بل هو مقيد بوجودهم حال كونهم مع النبي – صلى الله عليه وسلم-

ثم بين أنه ليس كل من دخل النار يصاب بالخزي، فالآية عامة، ولكن هناك خصوص، فالذين اتقوا يمروا على النار، ولكن لا يصبيهم الخزي منها، وكذا ملائكة النار هم في النار، ولكن سلب الله تعالى خاصية الإحراق منها بالنسبة لهؤلاء، والله تعالى قادر على كل شيء، وهذا يؤكده ما حدث لسيدنا إبراهيم – عليه السلام- قال تعالى (**قُلْنَا يَانَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ**)[1]

وكما خص الله تعالى منع نزول العذاب على الكفار لوجود سيدنا محمد بين ظهرانيهم فقال تعالى (**وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ**)[2]

حيث ورد في تفسيرها: (أَنَّ مُحَمَّدًا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مَا دَامَ يَكُونُ حَاضِرًا مَعَهُمْ، فإنه تَعَالَى لَا يَفْعَلُ بِهِمْ ذَلِكَ تَعْظِيمًا لَهُ، وَهَذَا أَيْضًا عَادَةُ اللَّه مَعَ جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ الْمُتَقَدِّمِينَ، فَإِنَّهُ لَمْ يُعَذِّبْ أَهْلَ قَرْيَةٍ إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَخْرُجَ رَسُولُهُمْ مِنْهَا، كَمَا كَانَ فِي حَقِّ هُودٍ وَصَالِحٍ وَلُوطٍ.)[3]

فليس معنى عدم نزول العذاب في وجود سيدنا محمد عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، أن يكون العذاب ممتنع النزول، فقياسا ليس معنى أن مرتكب الكبيرة لا يصيبه الخزي في وجود وحضرة النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ،أن يكون الخزي ممتنعا على الإطلاق، فبطل استشهادهم، ودل على أن مرتكب الكبيرة يجازى على فعله، إلا أن يشاء ربي شيئا .

---

١ – سورة الأنبياء الآية رقم (٦٩)

٢ – سورة الأنفال الآية رقم (٣٣).

٣ – مفاتيح الغيب للرازي (جـ١٥/ صـ ٤٧٩-٤٨٠).

ثانيا : قوله تعالى: (وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ أُولَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ) [1]

قسمت المرجئة الناس من حيث الجزاء إلى قسمين أهل ثواب- وهم المسلمون- وأهل عقاب – وهم الكافرون- ولما كان الفساق من أهل الصلاة مع ارتكابهم للكبائر، فلا يدرجون في تصنيف الكفار، ثبت أنهم من أهل الثواب، فلا يعاقب على معصيته. وفي هذا يقول الرازي:

(أما المرجئة فقالوا إن هذه الآية دلت على أن أهل القيامة قسمان أهل الثواب وأهل العقاب دلت على أن أهل العقاب هم الكفرة وثبت بالدليل أن الفساق من أهل الصلاة ليسوا بكفرة وإذا لم يكونوا من الكفرة كانوا من أهل الثواب وذلك يدل على أن صاحب الكبيرة من أهل الصلاة ليس له عقاب) [2]

الجواب

(أكثر ما في الباب أن المذكور هاهنا هو هذا الفريقان، وذلك لا يقتضي نفي الفريق الثالث) [3]

أن تقسيم الناس إلي فريقين من حيث النعيم والعذاب، هذا باعتبار ما يؤول إليه حال الناس ؛ لأن المؤمن العاصي مصيره إلى الجنة، والناس يصبحون فريق في الجنة وفريق في السعير فلا يعتبر هذا حجة للمرجئة فيما يدعون.

ثالثا : قوله تعالي " فَأَنذَرْتُكُمْ نَاراً تَلَظَّى لاَ يَصْلَاهَآ إِلاَّ الأَشْقَى الَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّى" [4]

(أن المرجئة يتمسكون بهذه الآية في أنه لا وعيد إلا على الكفار) [5]

الـرد

(فإنكم لا تقطعون بعدم وعيد الفساق الجواب من وجهين الأول ما ذكره الواحدي وهو أن معنى لاَ يَصْلَاهَا لا يلزمها في حقيقة اللغة يقال صلى الكافر النار إذا لزمها مقاسياً شدتها وحرها وعندنا أن هذه الملازمة لا تثبت إلا للكافر أما الفاسق فإما

١ – سورة عبس الآيات رقم (٤٠،٤١،٤٢).
٢ – مفاتيح الغيب للرازي (جـ٣١/ صـ ٦٠).
٣ – مفاتيح الغيب للرازي (جـ٣١/ صـ٦٢)
٤ – سورة الليل الآيتان رقم (١٧،١٨).
٥ – مفاتيح الغيب للرازي (جـ٣١/ صـ١٣٤)

أن لا يدخلها أو إن دخلها تخلص منها الثاني أن يخص عموم هذا الظاهر بالآيات الدالة على وعيد الفساق والله أعلم قوله تعالى)[1]

ثالثا: قوله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام { إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى } [2]**فهذه الآية صريحة في أن ماهية العذاب المختصة بمن كذب بالله تعالى وكان موليا عن دينه ومن لم يكن مكذبا بالله ولا متوليا عن دينه لم يكن للعذاب به تعلق)**[3]

الرد

لقد أجاب الرازي على هذه الحجة عند تفسيره للآية السابقة فقال: (فَاعْلَمْ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ مِنْ أَقْوَى الدَّلَائِلِ عَلَى أن عقاب المؤمن لا يدوم)[4]

وبين أن ظاهر الآية يدل على عدم العقاب أصلا ثم دفع هذا الإيهام فقال : (وَظَاهِرُ هَذِهِ الْآيَةِ يَقْتَضِي الْقَطْعَ بِأَنَّهُ لَا يُعَاقِبُ أَحَدًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بِتَرْكِ الْعَمَلِ بِهِ فِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ فَوَجَبَ أَنْ يَبْقَى عَلَى أَصْلِهِ فِي نَفْيِ الدَّوَامِ لِأَنَّ الْعِقَابَ الْمُتَنَاهِيَ إِذَا حَصَلَ بَعْدَهُ السَّلَامَةُ مُدَّةً غَيْرَ مُتَنَاهِيَةٍ صَارَ ذَلِكَ الْعِقَابُ كَأَنَّهُ لَا عِقَابَ فَلِذَلِكَ يَحْسُنُ مَعَ حُصُولِ ذَلِكَ الْقَدْرِ أَنْ يُقَالَ: إِنَّهُ لَا عِقَابَ)[5]

ثبت من خلال ما سبق عرضه من أدلة قرآنية أن المرجئة يقرون ويعتقدون بأن صاحب الكبيرة من أهل القبلة، لا يدخل النار ولا تضره هذه الذنوب، ولا تقدح في إيمانه بأي حال من الأحوال ،وإنما وعيد الله تعالى لبعض عباده إنما هو مختص بالكفار فقط.

ثانيا : استدلالهم بالسنة النبوية:

١- منها ما رواه أبو ذر رضى الله عنه فيما ذكره البخاري بسنده فقال " **قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَيْهِ ثَوْبٌ أَبْيَضُ، وَهُوَ نَائِمٌ، ثُمَّ أَتَيْتُهُ وَقَدِ اسْتَيْقَظَ، فَقَالَ: " مَا مِنْ عَبْدٍ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، ثُمَّ مَاتَ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا دَخَلَ الجَنَّةَ " قُلْتُ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ؟ قَالَ: «وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ» قُلْتُ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ**

---

١ مفاتيح الغيب للرازي (جـ٣١/ صـ١٣٥)

٢ – سورة طه الآية رقم (٤٨).

٣ – الأربعين في أصول الدين للرازي (جـ٢ / صـ ٢٠٨).

٤ – مفاتيح الغيب للرازي(جـ٢ / صـ٥٥).

٥ – الأربعين في أصول الدين للرازي (جـ٢ / صـ ٢٠٨).

سَرَقَ؟ قَالَ: «وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ» قُلْتُ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ؟ قَالَ: «وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ عَلَى رَغْمِ أَنْفِ أَبِي ذَرّ[1])[2]

الرد

تلك الأحاديث العامة المطلقة تقيد بالأحاديث الأخرى، فقد جاء عن الصديق رضي الله تعالى عنه أنه بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم امتنع بعض العرب عن أداء الزكاة، وارتد البعض منهم، فقام الصديق في جمع الزكاة ومقاتلة مانعيها، فقال له عمر رضي الله تعالى عنه: (أتقاتل قوماً شهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله؟! فيقول الصديق: والله! لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة.

قال عمر: أتقاتل قوماً يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله؟! فقال له الصديق: ألم يقل رسول الله: (إلا بحقها) ؟ والزكاة والصلاة من حق (لا إله إلا الله).

وقدمنا مراراً أن لوازم (لا إله إلا الله) : ألَّا يعبد غير الله، ولا يصرف شيء من العبادة لغير الله؛ لأنه اعترف بأنه لا مألوه بحق ولا يستحق الألوهية والعبادة إلا الله.

ومقتضى (محمد رسول الله) : أن يطيع الله بما أرسل به رسوله.

إذاً: كل ما أمر الله به وكل ما نهى الله عنه داخل ضمن (لا إله إلا الله)[3]

وورد في السنة للخلال (أن أبا الحارث حدثهم قال : سألت أبا عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل ، قلت : إذا قال الرجل : لا إله إلا الله ، فهو مؤمن ؟ قال :

---

(١) (على رغم أنف أبي ذر وإن رغم أنف أبي ذر) مأخوذ من الرغام وهو التراب فمعنى أرغم الله أنفه أي ألصقه بالرغام وأذله فمعنى قوله صلى الله عليه وسلم على رغم أنف أبي ذر أي على ذل منه لوقوعه مخالفا لما يريد وقيل معناه على كراهة منه وإنما قال له صلى الله عليه وسلم ذلك لاستبعاده العفو عن الزاني السارق المنتهك للحرمة واستعظامه ذلك وتصور أبي ذر بصورة الكاره المانع وإن لم يكن ممانعا وكان ذلك من أبي ذر لشدة نفرته من معصية الله تعالى وأهلها] / تعليق محمد فؤاد عبد الباقي / ينظر صحيح مسلم / باب من مات لا يشرك بالله شيئا / حديث رقم ٩٤/ جـ١ / صـ٩٥) في الهامش.

٢ – صحيح البخاري كتاب اللباس / باب الثياب البيض / حديث رقم (٥٨٢٧).

٣ – شرح الأربعين النووية لعطية سالم (جـ١١/ صـ ٤٨).

كذا كان بدء الإيمان ، ثم نزلت الفرائض : الصلاة ، والزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت.) [1]

بعد بيان هذه الأدلة والرد عليها بوجه خاص أقول بأن معتقد المرجئة في أن صاحب الكبيرة لا يدخل الجنة وأن هذا لا يضر بإيمانه معتقد فاسد وله أثاره السلبية على الأخلاق والدين فإذا ضاعت الأخلاق ذهبت القيم والمبادئ ،وأصبح الناس يتعايشون ويتعاملون، بدون حدود تقيدهم، ولذلك حذر القرآن الكريم والسنة النبوية من اقتراف الكبائر؛ لأنها تهدم الإيمان ،وتذهب بالأخلاق الحميدة، فقال تعالى في مدحه لعباده المؤمنين (وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ) [2]

في حين أنه من وجه أخر ذم أهل الظلم وتوعدهم بالعقاب الأليم فقال تعالى **(إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)** [3]

وقال أيضا : (الَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلهاً آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذلِكَ يَلْقَ أَثاماً . يُضاعَفْ لَهُ الْعَذابُ يَوْمَ الْقِيامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهاناً) [4]

والمعنى **(الْمَقْصُودُ مِنْ ذَلِكَ التَّنْبِيهُ عَلَى الْفَرْقِ بَيْنَ سِيرَةِ الْمُسْلِمِينَ وَسِيرَةِ الْكُفَّارِ، كَأَنَّهُ قَالَ: وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ هُمُ الَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّه إِلَهًا آخَرَ وَأَنْتُمْ تَدعُونَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَنْتُمْ تَقْتُلُونَ الْمَوْءُودَةَ، وَلا يَزْنُونَ وَأَنْتُمْ تَزْنُونَ.)** [5]

فهنا ذم الله تعالى الكبائر بأثرها لأنها تفسد الأخلاق، وتثير الاضطرابات الفوضوية التي تذهب بالقيم والأصول الإعتقادية التي نادى بها الدين الحنيف.

---

١ – السنة للخلال (جـ٣ / صـ ٥٦٤).
٢ – سورة الشورى الآية رقم (٣٧).
٣ – سورة الشورى الآية رقم (٤٢).
٤ – سورة الفرقان الآيتان رقم (٦٨،٦٩).
٥ – مفاتيح الغيب للرازي (جـ ٢٤/ صـ٤٨٣).

فمثلا على هذا أن قابيل قد ندم على قتل هابيل كما وضح لنا القرآن الكريم وندم قابيل على قتل أخيه بعدما أزهق روحه بدون وجه حق، وهذا الندم لم يكن إلا لمخالفة فعله للقانون الأخلاقي الذي فطر عليه[1]

ومن السنة النبوية

ولقد فصل النبي – صلى الله عليه وسلم – الكبائر المنهي عنها شرعا يتضح ذلك فيما روى عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– قَالَ " اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ ". قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا هُنَّ قَالَ " الشِّرْكُ بِاللَّهِ وَالسِّحْرُ وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ وَأَكْلُ الرِّبَا وَالتَّوَلِّى يَوْمَ الزَّحْفِ وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلاَتِ الْمُؤْمِنَاتِ "[2]

فهنا بين النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن هناك أقوالا وأفعالا قد تؤدي بالإنسان إلى التهلكة – والعياذ بالله– وأطلق عليها اسم الكبائر وهذا يدل على أن الإنسان محاسب على أقواله وأفعاله وأن الله يعاقبه عليها وهذا خلاف ما تقوله المرجئة بغفران جميع الذنوب للمؤمنين ، وهذا القول له أثره الأخلاقي على الفرد والمجتمع فبناء على ما ذهب إليه المرجئة من أن صاحب الكبيرة كامل الإيمان فهذا غلو وتفريط في دين الله وتلاعب بأحكامه وأصوله (**ووجه اللعب والمزح في الدين على ضوء هذه العقيدة : أن الفاسق إذا قيل له : إيمانك مثل إيمان النبي صلى الله عليه وسلم فهل يُقبِل على الدين ؟ أم أنه سيقول إذا كان إيماني تاما كاملاً وهذه حالي مثلَ إيمان النبي صلى الله عليه وسلم فما الحاجة إلى الالتزام بالدين ، فتكون النتيجة إذاً هي اتخاذ الدين لهواً ولعباً ، والغلاة من المرجئة يقولون : كما أنه لا ينفع مع الكفر طاعة فإنه لا يضر مع الإيمان ذنب . وهذا قول في غاية الخبث والفساد ، وهو سبيل لترك الصلوات ومنع الزكاة وترك الصيام والحج وغير ذلك من الطاعات وذريعة لفعل**

---

١ – مشكلة الخير والشر في الفكر الإسلامي (صـ ٤٩) بتصرف.

٢– صحيح البخاري / كتاب الحدود/ باب من أظهر الفاحشة واللطخ والتهمة بغير بينة/ حديث رقم ٦٨٥٧/ صـ٨١٧. وينظر صحيح مسلم / باب بيان الكبائر / حديث رقم ٢٧٢/ جـ١/ صـ٦٤).

ولا يقتصر عدد الكبائر على ما ورد في هذا الحديث ولكن المشهور أن كل فعل أو قول يترتب عليه حد أو توعد بالنار أو اللعن أو الغضب فهو كبيرة من الكبائر.

الفواحش والموبقات ولا يرتاب عاقل أنه هذا لعب بالدين ، وأي عبث أفضع وأشد من هذا العبث)[1]

فالقول بأنه لا يضر مع الإيمان معصية، تلاعب بالدين، ونشر للفساد، وضياع للأخلاق، وإذا ضاعت الأخلاق ماج المجتمع في غي وضلال، ولذلك حرص النبي صلى الله عليه وسلم على ربط الأخلاق بالدين، مبينا أن الإنسان حتى يصل إلى أعلى درجات الإيمان وأكمله لا بد وأن يتخلق بالأخلاق الحميدة ومنها:-

١- أن يأمن الناس من إيذائه بصفة عامة وجيرانه بصفة خاصة فقال فيما رواه مسلم بسنده (**عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ لا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ ".**[2]

ووجه الدلالة من هذا الحديث

بيان أن الإيمان مرتبط بالعمل ، وأن الإنسان محاسب على معاصيه وأن المعاصى تضر بالإيمان، موضحا أن الأخلاق الحميدة علامة على اكتمال إيمان المرء

يقول القاضي عياض (" **لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه ": البوائق الغوائل والدواهى، أى: من لا يؤمن شره ولا مضرته، ومن كان بهذه الصفة من سوء الاعتقاد للمؤمن، فكيف بالجار وتربصه به الدوائر وتسبيبه له المضار، فهو من العاصين المتوعدين بدخول النار، وأنه لا يدخل الجنة حتى يُعاقب ويجازى بفعله، إلا أن يعفو الله عنه)**[3]

٢- عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا الزُّبَيْرِ، يَقُولُ: سَمِعْتُ جَابِرًا، يَقُولُ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ»[4]

---

١ - التحفة السنية شرح منظومة ابن أبي داود المسماة بالحائية ، المؤلف: عبد المحسن بن حمد العباد البدر. تعليق: هانئ بن عبد الله بن جبير.(جـ١ / صـ٧٧).

٢ - صحيح مسلم / باب تحريم إيذاء الجار / جـ١ / صـ ٦٨ / حديث رقم (٤٦).

٣ - شَرْحُ صَحِيح مُسْلِم لِلقَاضِى عِيَاض المُسَمَّى إكمَالُ المُعْلِمِ بفَوَائِدِ مُسْلِم/ المؤلف: عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل / تحقيق: الدكتور يحْيَى إسْمَاعِيل (جـ١ / صـ ٢٨٣)/ ط: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر ، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨ م

٤ - صحيح مسلم / باب بيان تفاضل الإسلام / جـ١ / صـ٦٥ / حديث رقم (٤١).

وفي هذا الحديث يحذر النبي صلى الله عليه وسلم من إيذاء المسلم لأخيه سواء باليد أو اللسان فليس الإيذاء مقتصر على كف اليد فقط ،وإنما اللسان أيضا ويكون بالبعد والتنزه عن الصفات الذميمة التي يتصف بها أصحاب الأخلاق المنحرفة كالغيبة والنمية والقذف، والسب وسوء الظن، وغير ذلك من الأمراض الشيطانية الخبيثة، التي تُقطِّع أواصر المحبة والألفة،بين أبنا المجتمع ،فالإسلام جاء لنشر الفضائل ،وتحقيقا لهذا ربط الإيمان بالعمل وهذا هو الحق خلافا لما ذهب إليه غلاة المرجئة فإنه يبدد الأخلاق، وينشر الرذائل، ويبعد الناس عن الدين الحق، والعياذ بالله تعالى ومنها تبين أن الإنسان محاسب على أفعاله، وأعماله، وأقواله، فكلما اجتهد المسلم في الطاعه قوى إيمانه، والعكس كلما تلاعب بالدين وعصى ربه قل إيمانه،وحسابه على تقصيره وعصيانه.

المبحث الرابع

موقفهم من الشفاعة وعلاقتها بالأخلاق

بناء على ما سبق ذكره من معتقد المرجئة في جزاء مرتكب الكبيرة وتقريرهم بأنه لا يخزى ولا يعذب ترتب عليه معتقد أخر وهو إنكار شفاعة النبي – صلى الله عليه وسلم- ولذلك(**فإن المرجئة لا ترى لمحمد – صلى الله عليه وسلم – شفاعة لأن لا إله إلّا الله تغني عنها**)[1]

(الْمُرْجِئَةُ قوم مبتدعة يقولون: لا تضر الذنوب مع الإيمان، ولا يدخل مؤمن النار وإن كان مذنبًا) [2]

وبناء على هذا كذبوا أحاديث تارة وأولوا تارة أخرى ومن الأحاديث الواردة في هذا ما رواه البخاري بسنده من حديث أبي سعيد الخدري الشاهد فيه :

١- (**فَيَشْفَعُ النَّبِيُّونَ وَالمَلاَئِكَةُ وَالمُؤْمِنُونَ، فَيَقُولُ الجَبَّارُ: بَقِيَتْ شَفَاعَتِي، فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ، فَيُخْرِجُ أَقْوَامًا قَدْ امْتُحِشُوا، فَيُلْقَوْنَ فِي نَهَرٍ بِأَفْوَاهِ الجَنَّةِ، يُقَالُ لَهُ: مَاءُ الحَيَاةِ، فَيَنْبُتُونَ فِي حَافَتَيْهِ كَمَا تَنْبُتُ الحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ، قَدْ رَأَيْتُمُوهَا إِلَى جَانِبِ الصَّخْرَةِ، وَإِلَى جَانِبِ الشَّجَرَةِ، فَمَا كَانَ إِلَى الشَّمْسِ ،مِنْهَا كَانَ أَخْضَرَ، وَمَا كَانَ مِنْهَا إِلَى الظِّلِّ كَانَ أَبْيَضَ، فَيَخْرُجُونَ كَأَنَّهُمُ اللُّؤْلُؤُ، فَيُجْعَلُ فِي رِقَابِهِمُ الخَوَاتِيمُ، فَيَدْخُلُونَ الجَنَّةَ، فَيَقُولُ أَهْلُ الجَنَّةِ: هَؤُلاَءِ عُتَقَاءُ الرَّحْمَنِ، أَدْخَلَهُمُ الجَنَّةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ عَمِلُوهُ، وَلاَ خَيْرٍ قَدَّمُوهُ، فَيُقَالُ لَهُمْ: لَكُمْ مَا رَأَيْتُمْ وَمِثْلَهُ مَعَهُ "**[3]

فهذا حديث صح عن النبي صلى الله عليه وسلم إلا أن المرجئة يكذبون هذه الأخبار؛ لأنها لا تتوافق مع منهجهم الذي ابتدعوه

---

١ – قبس في شرح موطأ مالك بن أنس/ للقاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي / تحقيق: الدكتور محمد عبد الله ولد كريم (جـ١/ صـ٨٩٩) / طبعة : دار الغرب الإسلامي ، ١٩٩٢ م

٢ –طالع الأنوار على صحاح الآثار / لابن قرقول / (جـ٣/ صـ١١٩)

٣ – صحيح البخاري باب قوله تعالى (وجوه يؤمئذ ناضرة) جـ٩/ صـ ١٢٩) حديث رقم (٧٤٣٩).

(وأما المرجئة فهم كذلك ممن يكذب بذلك لأن المرء عندهم إيمانه كإيمان جبريل لا ينقص ولا تضر معه معصية فلا يدخل النار أبدا)[1]

٢- ويحتجون بأن من قال (لا إله إلا الله) لا يدخل النار فلا داع للشفاعة ولذلك أولوا الأخبار الواردة في شأن اثبات الشفاعة على غير مرادها ولذلك يقول ابن خزيمة (**الْغَالِيَةُ مِنَ الْمُرْجِئَةِ الَّتِي تَزْعُمُ أَنَّ النَّارَ حُرِّمَتْ عَلَى مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، تَتَأَوَّلُ هَذِهِ الْأَخْبَارَ الَّتِي رُوِيَتْ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي هَذِهِ اللَّفْظَةِ عَلَى خِلَافِ تَأْوِيلِهَا فَأَوَّلُ مَا نَبْدَأُ بِذِكْرِ الْأَخْبَارِ، بِأَسَانِيدِهَا وَأَلْفَاظِ مُتُونِهَا ثُمَّ نُبَيِّنُ مَعَانِيهَا بِعَوْنِ اللَّهِ وَمَشِيئَتِهِ، وَنَشْرَحُ وَنُوَضِّحُ أَنَّهَا لَيْسَتْ بِمُخَالِفَةٍ لِلْأَخْبَارِ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا فِي الشَّفَاعَةِ، وَفِي إِخْرَاجِ مَنْ قَضَى اللَّهُ إِخْرَاجَهُمْ مِنْ أَهْلِ التَّوْحِيدِ مِنَ النَّارِ فَمِنْهَا الْأَخْبَارُ الْمَأْثُورَةُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ»)** [2]

الرد عليهم

(فاسمعوا الدليل البين الواضح أن النبي صلى الله عليه وسلم إنما أراد بقوله في هذا الخبر حرم على النار أي حرم على النار أن تأكله، لا أنه حرم على النار أن تؤذيه أو تمحشه أو تمسه؛ لأن النار إذا أكلت ما يلقى فيها، يصير المأكول نارا، ثم رمادا، وأهل التوحيد وإن دخلوا النار بذنوبهم وخطاياهم لا تأكلهم النار أكلا يصيرون جمرا ثم رمادا، بل يصيرون فحما، كما ذكرنا في الأخبار التي قدمنا ذكرها في أبواب الشفاعات، والشيء إذا احترق كله فصار جمرا، بعد احتراق الجميع، يصير بعد الجمر رمادا لا يصير فحما، إذا احترق احتراقا ناعما، فافهموا هذا الفصل، لا تغالطوا فتصدوا عن سواء السبيل، وكل ما يذكر من الأخبار، من هذا الجنس على هذا المعنى، فافهموه)[3]

ويقول في موضع أخر (**وأن معناها ليس كما يتوهمه المرجئة وبيقين يعلم كل عالم من أهل الإسلام أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يرد بهذه الأخبار أن من قال لا**

---

١ – قصيدة عبد الله بن سليمان الأشعث (صـ٥٥).

٢ – كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل / لأبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة تحقيق: عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان (جـ٢ / صـ ٧٦٩) / طـ: مكتبة الرشد – السعودية – الرياض / ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م

٣ – كتاب التوحيد لابن خزيمة (جـ٢ / صـ ٧٧٢).

إله إلا الله أو زاد مع شهادة أن لا إله إلا الله شهادة أن محمدا رسول الله ولم يؤمن بأحد من الأنبياء، غير محمد صلى الله عليه وسلم ولا آمن بشيء من كتاب الله، ولا بجنة ولا نار، ولا بعث ولا حساب أنه من أهل الجنة، لا يعذب بالنار، ولئن جاز للمرجئة الاحتجاج بهذه الأخبار، وإن كانت هذه الأخبار ظاهرها خلاف أصلهم، وخلاف كتاب الله وخلاف سنن النبي صلى الله عليه وسلم، جاز للجهمية الاحتجاج بأخبار رويت عن النبي صلى الله عليه وسلم إذا تؤولت على ظاهرها، استحق من يعلم أن الله ربه وأن محمدا نبيه الجنة، وإن لم ينطق بذلك لسانه، ولا يزال يسمع أهل الجهل والعناد، ويحتجون بأخبار مختصرة، غير متقصاة، وبأخبار مجملة غير مفسرة، لا يفهمون أصول العلم، يستدلون بالمتقصى من الأخبار على مختصرها، وبالمفسر منها على مجملها، قد ثبتت الأخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم بلفظة لو حملت على ظاهرها كما حملت المرجئة الأخبار التي ذكرناها في شهادة أن لا إله إلا الله على ظاهرها لكان العالم بقلبه: أن لا إله إلا الله مستحقا للجنة، وإن لم يقر بذلك بلسانه، ولا أقر بشيء مما أمر الله تعالى بالإقرار به، ولا آمن بقلبه بشيء أمر الله بالإيمان به ولا عمل بجوارحه شيئا أمر الله به، ولا انزجر عن شيء حرمه الله من سفك دماء المسلمين، وسبي ذراريهم وأخذ أموالهم، واستحلال حرمهم فاسمع الخبر الذي ذكرت أنه غير جائز أن يحمل على ظاهره، كما حملت المرجئة الأخبار التي ذكرناها على ظاهرها) [1]

ومن خلال ما سبق يتبن

أن المرجئة عندما تمسكوا بقولهم بأن المؤمن لا تضره المعصية وحينئذ لما كانت الشفاعة متعلقة بعصاة المؤمنين وأن المؤمن لا يدخل النار كانت النتيجة أنهم أنكروا شفاعة النبي – صلى الله عليه وسلم– فأنكروا أحاديث وأولوا أخرى في سبيل الدفاع عن قولهم وهذا مع كونه يؤثر على عقيدة الإنسان إلا أنه له جانب أخلاقي سيء أبينه الآن .

١ – كتاب التوحيد لابن خزيمة (جـ٢ / صـ ٨١٥).

إنكار الشفاعة وعلاقته بالأخلاق

إن القول بإنكار الشفاعة له تأثيره السلبي على الأخلاق للأسباب الأتيه:-

١- إنكار أمر معلوم من الدين بالضرورة وفي هذا طمس للحقائق ومنافية للفضائل والأخلاق الحميدة .

٢- التشويش والتشكيك في أمور الدين، والكتب المعتمدة المتواتر صحتها كصحيح البخاري، وغيره، وذلك عن طريق تكذيبهم لبعض الأحاديث المتعلقة بالشفاعة، ويعتبر هذا سوء خلق من فاعله، وعدم تأدبه وتحليه بالأخلاق الإسلامية .

٣- أن في إنكارهم للشفاعة نبذ للجماعة وبُعد عن الحق والدخول في زمرة الشيطان، والتخلق بأخلاقه الخبيثة، المتمثلة في الأمر بالفحشاء، والنهى عن المعروف، مما يؤثر تأثيرا سلبيا ،على أخلاق الإنسان ،وبعده عن الحق وأهله.

إلى غير ذلك من السلبيات التي تخرج الإنسان عن القيم والمبادئ، وتخلقه بأخلاق الدين الحنيف، ولذلك سوف أقوم بالرد عليهم من خلال تقرير رأي أهل السنة في إثبات الشفاعة بالأدلة والبراهين الصحيحة.

الرد على المرجئة في إنكارهم للشفاعة .

اتفق أهل السنة قاطبة على ثبوت شفاعة النبي – صلى الله عليه وسلم– للمذنبين من أمته ،يقول التفتازاني: ((الشفاعة يدل على ثبوتها النص والإجماع إلا أن المعتزلة قصروها على المطيعين والتائبين لرفع الدرجات وزيادة المثوبات، وعندنا يجوز لأهل الكبائر أيضا في حط السيئات إما في العرصات[١] وإما بعد دخول النار، لما سبق من دلائل العفو عن الكبيرة ولما اشتهر بل تواتر معنى من ادخار الشفاعة لأهل الكبائر)[٢]

(١) (العرصة) بوزن الضربة كل بقعة بين الدور واسعة ليس فيها بناء والجمع (العراص) و (العرصات) مختار الصحاح للجوهري (جـ١/ صـ ٢٠٥).

(٢) شرح المقاصد للتفتازاني (جـ٥/ صـ ١٥٨).

ومن الأدلة على هذا

١- مارواه البخاري بسنده عن أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ يَدْعُو بِهَا، وَأُرِيدُ أَنْ أَخْتَبِئَ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي فِي الآخِرَةِ»[١]

٢- ومنها ما رواه ابن ماجه بسنده عن عوف بن مالك الأشجعي

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أتدرون ما خيرني ربي الليلة؟» قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: «فإنه خيرني بين أن يدخل نصف أمتي الجنة، وبين الشفاعة، فاخترت الشفاعة» ، قلنا: يا رسول الله ادع الله أن يجعلنا من أهلها، قال: «هي لكل مسلم»[٢]

٣- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي»[٣]

فهذه بعض من الأحاديث التي تثبت صراحة الشفاعة لأهل الكبائر والعصاة ،وهذا رد على المرجئة الذين أنكروا الشفاعة ،بحجة أن الإيمان لاتضر به المعصية ،وبناء على هذا تكون الشفاعة من قبيل العبث حيث لا فائدة من ثبوتها وهذا القول مخالف لصريح المنقول ،وصحيح المعقول.

فإن من أذنب نقص إيمانه، ويعاقبه الله ما شاء على ما اقترفه من الذنوب، ولما كان الله معذبا لمن أذنب وعلم النبي- صلى الله عليه وسلم- بذلك أجل دعوته للشفاعة للعصاة يوم القيامة.

---

١ - صحيح البخاري باب لكل نبي دعوة مستجابة /جـ٨ / صـ ٦٧) حديث رقم (٦٨٠٤)

٢ - سنن ابن ماجه لابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني / تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي / جـ٢/ صـ١٤٤٤) / حديث رقم (٤٣١٧) وقال الألباني حديث صحيح) طـ: دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي بدون

٣ - سنن أبي داود لأبي داود سليمان بن الأشعث / تحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد (صححه الألباني (جـ٤/ صـ٢٣٦/ حديث رقم ٤٧٣٩) / طـ المكتبة العصرية، صيدا - بيروت بدون

أهم النتائج

أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال عمل البحث ومعايشتي له وهى :-

١- أن القول بالإرجاء في بداية نشأته كان علامة على إخلاص قائلة لله تعالى ويتوقى الحذر لنفسه والحيطة لدينة وهذا بناء على صدرو هذا اللفظ بشان ما يخص الصحابة – رضى الله عنهم- ثم بعد ذلك ظهر كرد فعل للذين كفروا مرتكب الكبيرة والذين قالوا بأنه في منزلة بين المنزلتين .

٢- أصبح القول بالإرجاء بعد ذلك فرقة لها مبادئها ،وأصولها العقدية ،التي تسير عليها .

٣- الدارس لهذه الفرقة تقابله مشكلة ذات أهمية تتمثل في عدم وجود مؤلفات القوم أنفسهم، تتحدث عن تاريخهم ،ومبادئهم، وأصولهم،فكل ما نقل عنهم شتات متفرق، في كتب غيرهم، ولم يوجد مؤلف واحد أصيل ،نستقي منه أصولهم.

٤- كان لأصول المرجئة المضار الكثيرة على الأمة الإسلامية،حيث نشر الفساد، وفتح باب الإباحية على مصراعيه ،وإهمال قيمة العمل إهمالا كليا، حيث قولهم لا تضر مع الإيمان معصية كما تنفع مع الكفر طاعة.

٥- ليس كل من فصل العمل عن الإيمان يسمى مرجئا ،مندرجا تحت هذه الفرقة السابقة، وإنما القول المذموم ،هو إهدار وإهمال قدر العمل وقيمته، وعلى هذا فلا يصح ذم الأشاعرة الذين قالوا بأن الإيمان هو التصديق القلبي؛ لأنهم مع تعريفهم هذا إلا أنهم ،لا ينكرون قيمة العمل ،بل جعلوه من شروط الإيمان.

٦- أن فرقة المرجئة انتهجت منهجا غير صحيح عندما قالوا قولهم بأنه لا تضر مع الإيمان معصية، كما لا تنفع مع الكفر طاعة ،حيث أنكروا شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم لأهل الكبائر، لأنها لا تتفق مع مذهبهم.

٧- انتهجت المرجئة منهجا غالوا فيه غلوا مفرطا ،فتلاعبوا بالدين ،وانتهكوا الحرمات، وأفسدوا الأخلاقيات، معتمدين على التأويل المنحرف، الذين لا يقوم على منهج صحيح، ولا تقويه الطرق الأخرى الصحيحة، ولذلك فهي من الفرق الضالة التي يجب الابتعاد عنها، وعدم الأخذ بأقوالها ، ويجب السير على طريق ومنهج أهل السنة ،كما بينت من خلال عرض القضايا ومناقشتها في ثنايا البحث، هذه هي أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال معايشتي لهذا البحث والله ولي التوفيق.

المصادر والمراجع

١- لسان العرب / لمحمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور/ طبعة : دار صادر – بيروت/١٤١٤ هـ
٢- وينظر كتاب التعريفات/ لعلي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني ، تحقيق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر/ طبعة دار الكتب العلمية بيروت –لبنان / ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م
٣- غريب الحديث/ أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري /تحقيق: د. عبد الله الجبوري / طبعة : مطبعة العاني – بغداد ١٣٩٧هـ
٤- خلق أفعال العباد والرد على الجهمية وأصحاب التعطيل / لمحمد بن إسماعيل البخاري ، تحقيق : فهد بن سليمان الفهيد طـ: دار أطلس الخضراء / الطبعة : الأولى ، ٢٠٠٥ هـ
٥- الملل والنحل للشهرستاني / تحقيق أ.د علي عبد الباسط مزيد /صـ١٥٤/ طـ مكتبة الإيمان للنشر والتوزيع – القاهرة ٢٠١٤م
٦- التسعينية / لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية /دراسة وتحقيق: الدكتور محمد بن إبراهيم العجلان طبعة مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية / ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩
٧- - كتاب المواقف / لعضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي / تحقيق : د.عبد الرحمن عميرة / طبعة دار الجيل – بيروت / سنة ١٩٩٧م
٨- - السنة لأحمد بن محمد بن هارون بن يزيد الخلال أبو بكر/ تحقيق: د. عطية الزهراني - طبعة : دار الراية – الرياض الطبعة الأولى ، ١٤١٠هـ
١٠ - ينظر تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام/ لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي / تحقيق: الدكتور بشار عوّاد معروف / طبعة دار الغرب الإسلامي ٢٠٠٣م

١١- - تاريخ المذاهب الإسلامية /للشيخ محمد أبو زهرة
١٢ - تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)/ لمحمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي/ تحقيق: د. مجدي باسلوم طبعة : دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان/ ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م
١٣ - تاريخ الفرق الإسلامية السياسي والديني(المرجئة والخوارج) / الدكتور إبراهيم الفيومي / طبعة دار الفكر العربي – القاهرة ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٣م.
١٤ - تفسير مقاتل بن سليمان لأبي الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى / تحقيق: عبد الله محمود شحاته (طبعة : دار إحياء التراث – بيروت ١٤٢٣ هـ
١٥ - النبوات / لابن تيمة المطبعة السلفية - القاهرة، ١٣٨٦هـ.
١٦- التوحيد/ لأبي منصور الماتريدي / تحقيق: د. فتح الله خليف / طـ دار الجامعات المصرية – الإسكندرية بدون .
١٧ - الفصل في الملل والأهواء والنحل / لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري / : مكتبة الخانجي – القاهرة بدون.
١٨ - مجموع الفتاوى/ لإبن تيمية / تحقيق : عبد الرحمن بن محمد بن قاسم الطبعة : مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية ١٤١٦هـ/١٩٩٥م
١٩ - ينظر ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي د / سفر بن عبد الرحمن الحوالي
٢٠ - اعتقادات فرق المسلمين والمشركين/ لمحمد بن عمر بن الحسين الرازي أبو عبد الله / تحقيق : علي سامي النشار/طبعة: دار الكتب العلمية - بيروت ، ١٤٠٢/

٢١- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء/ لأبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني / / طبعة دار الكتب العلمية- بيروت ١٤٠٩ هـ

٢٢ - تفسير الثوري/ لأبي عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري الكوفي طبعة : دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣ م

٢٣- ينظر شرح صحيح البخارى لابن بطال/ لابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك / تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم / الطبعة :مكتبة الرشد - السعودية، الرياض- الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م/

٢٤- المنتقى شرح الموطإ / لأبي الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث التجيبي القرطبي الباجي الأندلسي / / طبعة: مطبعة السعادة - بجوار محافظة مصر ١٣٣٢هـ

٢٥ - طالع الأنوار على صحاح الآثار /لإبراهيم بن يوسف بن أدهم الوهراني الحمزي، أبو إسحاق ابن قرقول / تحقيق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث / الطبعة: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - دولة قطر ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢م

٢٦ - الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية / لعبد القاهر البغدادي / / طـ دار الآفاق الجديدة – بيروت ١٩٧٧م

٢٧ - تمهيد الأوائل في تلخيص الدلائل المؤلف: محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم، القاضي أبو بكر الباقلاني المالكي (المتوفى: ٤٠٣هـ) المحقق: عماد الدين أحمد حيدر / طـ : مؤسسة الكتب الثقافية – لبنان ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م

٢٨ - أبكار الأفكار في أصول الدين /لسيف الدين الآمدي /تحقيق: أ. د. أحمد محمد المهدي / طـ : دار الكتب والوثائق القومية – القاهرة / ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤م

٢٩- الإيمان بين السلف والمتكلمين / : أحمد بن عطية بن علي الغامدي / ط- مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية ، ١٤٣٢هـ/٢٠٠٢م
٣٠ - شرح ثلاثة الأصول /لمحمد بن صالح بن محمد العثيمين / ط: دار الثريا للنشر ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م
٣١ - لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية ، المؤلف: شمس الدين، السفاريني الحنبلي / ط: مؤسسة الخافقين ومكتبتها – دمشق ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م
٣٢ - شرح الأربعين النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية/ لابن دقيق العيد / ط: مؤسسة الريان ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م
٣٣ - اللامع الصبيح بشرح الجامع الصحيح / المؤلف: شمس الدين البِرْماوي النعيمي العسقلاني المصري الشافعي تحقيق ودراسة: لجنة مختصة من المحققين بإشراف نور الدين طالب / ط : دار النوادر، سوريا ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م
٣٤ - التَّنويرُ شَرْحُ الجَامِع الصَّغِيرِ /المؤلف: محمد بن إسماعيل الصنعاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف بالأمير / تحقيق: د. محمَّد إسحاق محمَّد إبراهيم ط : مكتبة دار السلام، الرياض ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م
٣٥ - مسند الإمام أحمد بن حنبل لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل /تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون ط: مؤسسة الرسالة ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م
٣٦ - الجانب الإيماني والأخلاقي في الإسلام تأليف أستاذنا أد / محمد عبد الفضيل عبد العزيز القوصي

٣٧ - مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار / لأبي بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي المعروف بالبزار) طبعة مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة
الطبعة: الأولى، (بدأت ١٩٨٨م، وانتهت ٢٠٠٩م)
٣٨ - السنة / لأبي بكر الخَلَّال البغدادي الحنبلي /تحقيق: د. عطية الزهراني/ طـ دار الراية – الرياض / ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م
٣٩ - الفقه الأكبر / لأبي حنيفة النعمان / طـ: مكتبة الفرقان - الإمارات العربية / ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م
٤٠ - الشريعة / لأبي بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجُرِّيُّ البغدادي / تحقيق: الدكتور عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي / / طـ : دار الوطن - الرياض / السعودية / ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م
٤١- قصيدة عبد الله بن سليمان الأشعث/ لعبد الله بن سليمان الأشعث أبو بكر/ / تحقيق: محمود محمد الحداد / طـ دار طيبة – الرياض / ١٤٠٨هـ
٤٢ - البدء والتاريخ/ المطهر بن طاهر المقدسي / / مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد بدون
٤٣ - تاريخ مختصر الدول/ لأبي الفرج المعروف بابن العبري / تحقيق: أنطون صالحاني اليسوعي/ طبعة: دار الشرق، بيروت، ١٩٩٢ م
٤٤ - شَرْحُ صَحِيح مُسْلِمِ لِلقَاضِى عِيَاض المُسَمَّى إِكمَالُ المُعْلِمِ بفَوَائِدِ مُسْلِم / للمؤلف / عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل / تحقيق: الدكتور يحْيَى إِسْمَاعِيل / طبعة : دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر ، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م
٤٥ - السنة / لأبي عبد الرحمن عبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل / المحقق: د. محمد بن سعيد بن سالم القحطاني طـ دار ابن القيم – الدمام ، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م

٤٦- التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع لمحمد بن أحمد بن عبد الرحمن، أبو الحسين المَلَطي العسقلاني / تحقيق: محمد زاهد بن الحسن الكوثري / طـ: المكتبة الأزهرية للتراث – مصر بدون.

٤٧- مفاتيح الغيب = التفسير الكبير/ لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي / طبعة : دار إحياء التراث العربي – بيروت - ١٤٢٠ هـ

٤٨ - التحفة السنية شرح منظومة ابن أبي داود المسماة بالحائية ، المؤلف: عبد المحسن بن حمد العباد البدر. تعليق: هانئ بن عبد الله بن جبير.بدون

٤٩- قبس في شرح موطأ مالك بن أنس/ للقاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي / تحقيق: الدكتور محمد عبد الله ولد كريم / طبعة : دار الغرب الإسلامي ، ١٩٩٢ م

٥٠ - كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل / لأبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة تحقيق: عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان / طـ: مكتبة الرشد - السعودية – الرياض / ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م

٥١ - سنن ابن ماجه لابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني / تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي طـ: دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي بدون

٥٢ - سنن أبي داود لأبي داود سليمان بن الأشعث / تحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد طـ المكتبة العصرية، صيدا – بيروت بدون